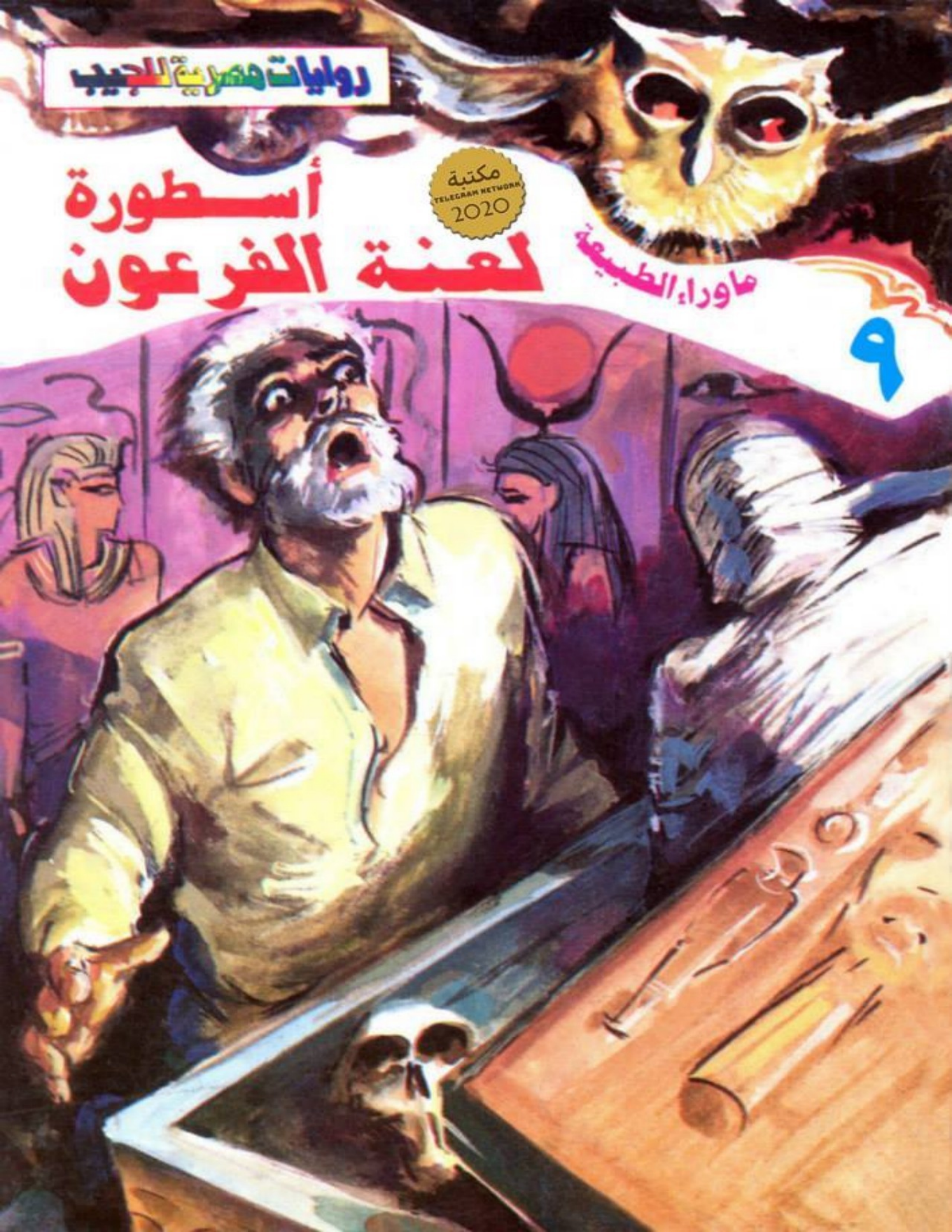


روايات مصرية للجيب
مكتبة
TELEGRAM NETWORK
2020
أسطورة لعنة الفرعون
ما وراء الطبيعة
٩


TELEGRAM NETWORK
TELEGRAM
NETWORK

مقدمة

أنا الدكتور رفعت إسماعيل أستاذ أمراض الدم سابقًا في جامعة (...) وعدد لا بأس به من الجامعات في الخارج، أنا الشيخ العزب الذي أنهى فتيل العمر ولم يبق له سوى ساعات، أيام، أعوام معدودة قبل أن يلحق بالأبدية..

ولهذا ؛ قررت أن أمسك القلم وأسطر ذكرياتي حتى لا تنتهي معي..

٩

روايات مصرية للجيب

•

ما وراء الطبيعة

أسطورة لعنة الفرعون

روايات مصرية للجيب

●

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

●

مصنف مصري مائة في المائة
لا تشوبه شبهة الترجمة أو
الاقتباس

●

بريشة
الأستاذ/إسماعيل دياب

●

إشراف
الأستاذ/ حمدي مصطفى

●

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة - المطابع ١٠،٨ شارع المنطقة الصناعية بالعباسية - منافذ البيع ١٦،١٠ شارع كامل صدقي الفجالة- ٤ شارع الإسحاقي بمنشية البكري روكسى مصر الجديدة - القاهرة ت ٢٨٣٥٠٠٤- ٥٩٠٨٤٥٥- ٢٥٨٦١٩٧ فاكس - 202/2596650 ج.م.ع.
4 شارع بدوي / محرم بك - الإسكندرية

روايات مصرية للجيب

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس

من فرط الغموض والرعب والإثارة

٩

أسطورة لعنة الفرعون

بقلم:

د. أحمد خالد توفيق



ماذا تعلمت من كل ما مررت به؟..
تعلمت أنني لم أتعلم شيئًا!.، ولو أن عمري غدا عشرين عامًا لفعلت نفس الأشياء واقترفت ذات الأخطاء وقلت ذات التفاهات. إن التاريخ يعيد نفسه لسبب واحد.. هو أننا في كل مرة نتوقع أنه لن يعيد نفسه وأن الأحداث ستأخذ مجرى جديدًا...!
أسمعكم تتساءلون: هل سيضيع هذا الشيخ وقتنا في فلسفته السطحية؟ ألن يحكي لنا قصة جديدة؟!
بلى يا رفاق..!.. سأحكي.. لكن هذه السطور السابقة ذات أهمية خاصة لما سأقوله لكم بعد دقائق.. وستفهمون ذلك...
متى وقعت هذه القصة؟..

وقعت في أوائل عام ١٩٦٧..

كلكم سمعتم - وقرأتم - عن لعنة الفراعنة..

لكن أحدكم لم يعرف ما عرفته أنا.. ولم يواجه كابوسًا مثل....

لا..!.. لن أفسد القصة...

لقد أنذرتكم.. لا تفتحوا التابوت!..، تعالوا معي عبر الصفحات التالية ولكن بكامل إرادتكم.. أنا لم اجبركم على شيء ولم أطلب منكم مرافقتي...

فلا جدوى من صراخكم..

لا جدوى أبدًا!!

الجزء الأول

الطبيب

"أن يستدعوك في مهمة استشارية فهذا يعني شيئًا أنيقًا به رقم لا بأس به ويحمل اسم (أتعاب استشاري) أو (بدل حضور) أو أي شيء من هذا القبيل..، لكنك - في هذه المرة - تلقيت بدل الشيك قرارًا بإعدامك.. قرارًا لا يمكن استئنافه..."

١ - استشارة خاصة..

يناير ١٩٦٧...

سن الثالثة والأربعين.. سن النضج وهضم خبرات الحياة وأنت ما زلت تملك القدرة على أن تخوض غمارها...

كنت عائدًا لتوي من مغامرتي الكابوسية مع (حارس الكهف) تلك المغامرة التي دنوت فيها من الموت أكثر من أية مغامرة أخرى.. ولقد قضيت عشرات الليالي أتملص - في فراشي - من قبضة رمال متحركة وهمية وأنهض غارقًا في العرق البارد لأتأمل الأرقام الفوسفورية المضيئة على قرص المنبه في ظلام الغرفة.. وأتنهد...

وبعد دقائق كنت أرى (العساس) واقفًا على باب الغرفة تتوهج تضاريسه المريعة في الضوء الخافت القادم من الصالة.. عندئذ أقرر أن أصرخ.. ثم أمنع نفسي في اللحظة الأخيرة من هذا العمل الأخرق لأنني أعرف أن كل هذا وهم.. وهم...

- لقد حان الوقت لتتزوج يا أخ (رفعت)..

هكذا يصارحني الجيران، وينصحني الأصدقاء، وتأمرني المرحومة أمي، وكلهم - بالطبع - يرون ملامح وجهي المرهقة، والشيب الزاحف على ما تبقى من شعري، ونظرة الذعر التي صارت نظرتي الدائمة..

إن الناس يتزوجون ليجدوا من يرعاهم.. أو يتزوجون لينجبوا.. أو يتزوجون لأنهم

لا يجدون شيئًا أفضل يفعلونه، أما أنا فسأكون أول من يتزوج ليهرب من رؤية الأشباح والمسوخ ومصاصي الدماء..

وهل قال لك أحد إنني كباقي الناس؟!..

وفي المرآة تأملت ذلك الشيء المفزع الذي تحولت إليه.. وسألت:

- ومن هي الفتاة التي تقبل؟..

فيقولون لي في حماس:

- هناك ألف عروس!..

- ألف عروس معتوهة؟.

فيردون وهم يتنهدون في سأم:

- إن الجميع يتزوجون يومًا ما.. ولكل أوان أذان.. وستكون هناك - حتمًا - بعض التنازلات من الطرفين..!

فأصرخ في هلع:

- ولماذا يتنازل الطرفان؟.. ما الذي يرغمنا على ذلك؟!
- للأسف أنت ما زلت طفلًا لا يقبل أن يتنازل.. طفلًا يريد كل شيء دون مقابل..
- هذا صحيح.. وما دمت كذلك فلماذا اتزوج؟.
- لأن الجميع يفعلون ذلك يومًا ما..!

* * *

وبالطبع كانت العروس - البائسة - هي (هويدا).. هل تذكرها؟ تلك الفتاة التي قابلتها عند (عادل) في (الإسكندرية) حين كنت غارقًا في مشاكلي مع آكل لحوم البشر.. ولم أعرها اهتمامًا في البدء ثم بدأت نوعًا مقننًا ومتحفظًا وباردًا من

العاطفة تجاهها..، وتبادلنا بعض المراسلات.. من (الولايات المتحدة).. من (اليونان).. من (ليبيا).. إلخ...

وحين عدت كانت بعد تنتظر....

وفي حفل عائلي شبه بهيج في دار (عادل) وأربع زغاريد - كعواء الذئاب - اطلقتها زوجته (سهام) ؛ طوقت إصبعي بخاتمها وطوقت إصبعها بخاتمي.. وغدونا أسيرين في زنزانة المستقبل المشترك!..

كانت خطبة كأية خطبة أخرى...

ذات الجولات المملة في الدروب.. وذات عبارات الغرام اسكبها في مسمعها أمام البحر.. وذات أكواب عصير البرتقال في ذات الكازينوهات.. وتظاهري بالهيام وتظاهرها بالحياء والقلق..

أعتقد أننا نولد بكمية محدودة من الرومانسية والقدرة على الحب.. وقد استهلكت كميتي كلها مع (ماجي).. وغدت كل محاولاتي مجرد عادات. كالصاروخ الذي يستمر في الارتفاع بالقصور الذاتي بعد أن تتوقف محركاته....

إلا أنني - والله تعالى عليم - كنت صادق النية في إسعادها وفي أن تكون زوجتي..، ولم أشعرها لحظة واحدة بما كان يعتمل في ذهني من تساؤلات لا نهاية لها..

* * *

كنت - كما تعلمون - مقيمًا في القاهرة، لهذا غدوت معتادًا على السفر إلى (الإسكندرية) أيام الخميس لأزور خطيبتي

في دار أهلها بـ (الأنفوشى) ولربما عرجت على دار (عادل) معها أو دونها - حسب صفاء الأحوال – لنتبادل المجاملات أو لأشكوها له (إذا تصادف وكنت وحدي)...

ولعلكم تتساءلون هنا: لماذا لم نتزوج على الفور؟..

في تلك الأيام الباسمة كانت الزيجات تتأخر ليس لضعف الإمكانات المادية أو لعدم وجود شقة.. بل لذلك السبب المترف.. أن يتعرف الخطيبان بعضهما أكثر....

تصوروا هذا..!

كانت الأيام تمضي وميعاد الزفاف يقترب...

وكانت دورة الشموس مستمرة....
حين وصلني الاستدعاء الرسمي...

* * *

ذهبت لأفتح الباب في شقتي بالدقي متوقعًا - كالعادة - أن من يرن الجرس هو شخص يلومني على شيء ما أو يزف لي مصيبة أو يريد نقودًا أو يقترض شيئًا لن يرجعه....

كان ذلك في نهار اليوم الثامن من يناير ١٩٦٧..، وكنت أعد وجبة إفطار كريهة حين سمعت رنين الجرس المثير للهلع..

ذهبت للباب وفتحته لأجد وجهًا أسمر متصلب الملامح لشرطي كث الشارب

يرمقني في شك ويمسك ورقة ما..، سألته في توتر:

- ماذا هنالك؟

- يريدونك..

لماذا؟

قالها في فتور كأنه يرى سؤالي سمجًا جدًا..، تناولت الورقة وفتحتها بيد مرتجفة شاعرًا أنني امرأة تتلقى ورقة الطلاق، فوجدت بها نوعًا من الاستدعاء الرسمي طلبًا لرأيي العلمي في هيئة الآثار.. ولكن لماذا؟

- لكنني طبيب.. فما هي علاقتي با....؟

- إن (البوكس) ينتظرك يا دكتور...

وهكذا.. لم أر بدًا من أن أطفئ الموقد وارتدي ثيابي وألحق بالزائر غير الثرثار

إلى (البوكس) كئيب المنظر الواقف أمام بوابة العمارة التي أقطنها، ونظرة تشف لا بأس بها التمعت في عيني البواب وبعض الجيران حين رأوني أسير مصفر الوجه كالكركم جوار الشرطي.. كأنهم كانوا واثقين أن هذا سيحدث لا محالة جزاء وفاقًا لجرائمي وسيري المعوج..!

لقد فضحني هذا المخبول في الحي بأكمله...

ومضت السيارة تنهب شوارع القاهرة متجهة نحو هيئة الآثار... ودخلت إلى قاعة كبيرة بها مكتب عملاق تعلوه بعض التماثيل الفرعونية الصغيرة.. وكان هناك حشد لا بأس به من السادة الذين تبدو على وجوههم سيماء الخطورة.. والعسكريين

الذين يرمقونني بشك لا مبرر له أبدًا.. والعلماء ذوي الشنابر الغليظة... وكلهم صامتون..

- دكتور (رفعت إسماعيل)؟.

قالها رجل متأنق أشيب الشعر يرفع نظارته فوق مقدمة رأسه.. وصافحني في شيء من المودة.. مضيفًا:

- أنا الدكتور (رمزي حبيب).. خبير المصريات... بالطبع ما زلت في حيرة من استدعائنا لك على هذا النحو..

هززت رأسي في تواضع قائلًا:

- إنني شخص حساس ياد. (رمزي).. حساس جدًا.. وليس رجال الشرطة الذين يأتون صباحًا من الأشياء المحببة للأشخاص الحساسين..

انفجر يضحك - أكثر مما تحتمله دعابتي في الواقع - ومعه ضحك كل السادة المحيطين بنا في مجاملة واضحة لي...

بدأ الفأر يلعب في عبي.. إن هناك جوًا من التوتر يخيم على المكان.. ذلك التوتر الذي ينفس عن نفسه بأية طريقة.. صرخة.. هزة قدم.. ضحكة في غير موضعها..، أنا لست أحمق..

- الواقع يا د. (رفعت) أننا.. هيه!.. لم لا تجلس؟.. ماذا تفضل أن تشرب؟...

- سجائر!..

مد أحدهم يده لجيبه وهو يضحك في افتعال.. وأخرج علبة تبغ معدنية ناولني لفافة منها، وقبل أن أفهم ما هنالك امتدت

ست شعلات من ست قداحات تحملها ستة أيدي متحمسة نحو لفافة تبغي..

- الواقع أننا.. سمعنا الكثير عن..آ.. لنقل جولاتك الموفقة في دنيا ما وراء الطبيعة.. والقضية التي نحن بصددها تحتاج لخبير في هذه الأمور.. إننا نتحرك في الظلام.. هل تفهمني؟.

- لا...!

قلتها كسدادة فلين موجهة إلى حلقه.. فابتسم في حرج.. وأضاف:

- سأكون أكثر وضوحًا.. أنت أستاذ في أمراض الدم.. هذه نقطة.. وخبير في اسرار (الميتافيزيقا)1 وهذه نقطة أخرى..، أي أنك الرجل الذي نحتاج إليه تمامًا..

هززت عقب السيجارة في حيرة فأسرع أحدهم يضع مطفأة تبغ في متناول يدي.. إن هذه المعاملة الحسنة تثير ريبتي أنا الذي أتوقع أسوأ الأمور دائمًا.. إن هؤلاء السادة يحملون لي كارثة ما، وإذا أضفنا لذلك ما يقول هذا (الأخ) عن (الميتافيزيقا) فإن استنتاج ما يدور ليس صعبًا.. إنني مقبل على مصيبة أخرى من المصائب التي تنتظرني في كل مكان وكل زمان..

قال د. (رمزي) في شرود وهو يرمق أظفار يده:

- ثمة شيء معين.. نوع من الآثار.. نريد منك أن تراه وتعطي رأيًا كاملًا.. تقريرًا علميًا مفصلًا يفسّر بعض الظواهر الغامضة التي صاحبت هذا الكشف...

- وهذا الشيء.. هذا الأثر.. هل هو مومياء؟.

رفع عينية الرماديتين نحوى في شيء من التبجيل.. وهز رأسه أن نعم..

- وهل فحصها علماء آخرون قبلي..؟.

- في الواقع..

- أجب دون تزويق أرجوك..

تنهد في استسلام.. وقال بصوت كالفحيح:

- خمسة علماء...

- وكلهم ماتوا في ظروف غير مفهومة..؟

- كلهم...

وتبادل مع الرجال الواقفين نظرة حيرى ثم سألني:

- كيف عرفت؟
- القصة دائمًا هكذا...
ثم إنني وأدت عقب السيجارة.. وأردفت:
- ولهذا استدعيتموني؟..
- بالفعل...
- لأكون سادس الضحايا..؟
هز رأسه مرتبكًا.. وفرك يديه ودمدم:
- بل لتقول لنا حقيقة ما يحدث...
وأشار إلى واحد من الواقفين.. رجل نحيل أسمر يرتدي نظارة صغيرة ذات إطار اسود سميك.. وقال:
- الأستاذ (محمد رجب) سيعطى لك خلفية أفضل عن الموضوع..
صافحني الرجل بيد باردة.. وجفف قطرات العرق النامية على جبينه وقال:

- سعيد بمعرفتك يا د. (رفعت)....

ثم جلس على مقعد وثير أمامي.. وأخرج (أجندة) صغيرة من جيبه بها - كما هو واضح - بعض النقاط التي تساعده على ترتيب ذهنه..

- إن الأمر يتعلق بملك فرعوني من الأسرة السادسة.. ملك لا نعرف عنه إلا أقل القليل أولا شيء على الإطلاق، والمصادفة وحدها هي التي قادتنا إلى مقبرته..

ثم بلل شفته السفلى بطرف لسانه.. وأردف:

لا أدري ما إذا كانت لديك فكرة عن الموضوع يا د. (رفعت) لكن هناك قرارًا عالي المستوى أن يظل ما أقوله لك سرًا..

- ولمه؟
- حتى هذا هو سر أيضًا.. كل ما أطلبه منك أن تعدني..
- أعدك ما دام الأمر يتعلق بصالح البلاد...
ولهذا - يا عزيزي القارئ - أرجو إعفائي من ذكر التفاصيل حيث إنني لم ألق هؤلاء السادة منذ ذلك العام.. ولم يعفني أحد من قسمي، سأقص عليكم قصتي محتفظًا لنفسي بالقدر الأكبر من التفاصيل.. وحتى اسم الفرعون نفسه لن أذكره.. بل سنطلق عليه اسمًا رمزيًا هو (أخيروم الأول) وهو – بالمناسبة - قريب جدًا من الاسم الأصلي.

- "كانت هذه المقبرة تختلف كثيرًا عن أية مقبرة وجدناها من قبل.."، قال الأستاذ (محمد) في عصبية.. "ومن المتوقع أن يبدل ما وجدناه فيها كثيرًا جدًا من قناعاتنا السابقة عن التاريخ الفرعوني، حتى أسلوب التحنيط نفسه لم يبد مألوفًا لنا..".

قلت في توتر وقد بدأت القصة تثير شغفي:

- وهل دخل اللصوص هذه المقبرة؟

تبادل نظرة حيرى مع الدكتور (رمزي) معناها: هل أصارحه؟..

ثم تنهد وأجاب عن سؤالي:

- قليلون جدًا.. وكلهم لم يمسوا شيئًا....

- وما السبب؟

ابتلع ريقه واغلق (الأجندة) قائلًا:

- لقد كان صاحب المقبرة غير طبيعي.. ومن العدل ألا نزعم أية قوى غير عادية له، لكن الحقيقة التي لا يمكن إنكارها.. الحقيقة التي تستعصي على الفهم هي أن لصوص المقابر فروا من المقبرة بمجرد دخولها.. آثار أقدامهم على الغبار - وهو لم يمس منذ قرون - أكدت لنا ذلك...

ونظر لي في صرامة:

-.. ما الذي رآه هؤلاء اللصوص؟.. إن من يتسلل إلى مقبرة لسرقتها ليلًا لا يخاف لدى رؤيته فأرًا أو ثعبانًا بالتأكيد...

قال د. (رمزي) مقاطعًا:

- حدثه كذلك عن الجثة...

- آه.. كنت أقول إن اللصوص...

سألته في فضول:

- أية جثة؟..
حاول تحاشي الإجابة بالعودة للحديث عن المقبرة ذاتها إلا أنني كنت مصرًا على الفهم مما دعاه إلى أن يجفف عرقه ويقول وهو يوجه نظرة عتاب إلى د. (رمزي):
- إنها جثة واحد من اللصوص.. جثة إنسان تعثر وهو يحاول الهرب مع رفاقه.. والغريب أن على وجهه أعتى علامات الهلع.. والأغرب أنه لم يتحلل برغم مرور عشرات القرون على وفاته.. أما الشيء المذهل..
وساد الصمت الغرفة:
- فهو أننا لم نجد قطرة دماء متخثرة واحدة في عروقه..

* * *



إنها جثة واحد من اللصوص .. جثة إنسان تعثّر وهو يحاول الهرب مع رفاقه ..

٢- عن لعنة الفراعنة..

"اخرج يا من تأتي في الظلام وتدخل خلسة. هل أتيت لتقبل هذا الطفل؟ لن أسمح لك بتقبيله. هل أتيت لتأخذه؟. لن أسمح لك بأخذه مني. لقد حصنته منك بعشب (أفيث) الذي يؤلمك، وبالبصل الذي يؤذيك، وبالشهد الذي هو حلو المذاق في فم الأحياء ومر في فم الأموات ".

تعويذة فرعونية لحماية الطفل
تنسب إلى (إيزيس)

* * *

.". إذن وجدتم - لحسن الحظ - مقبرة مصاص دماء فرعوني!" قلتها وأنا أرشف فنجان القهوة الذي قدموه لي، جالسًا على مائدة الاجتماعات الكبيرة، متجاهلًا حقيقة أن كل العيون ترمقني في فضول..

قال د. (رمزي) وهو يبتسم تلك الابتسامة المفتعلة:

- لم نزعم هذا لحظة يا د. (رفعت).. إن وجود جثة غير متعفنة خالية من الدماء لا يعني بالبديهة وجود مصاص دماء.. فقط يعني وجود شيء غامض...

ثم إنه مد يده إلى ملف كبير.. وشرع يخرج منه بعض الصور ويضعها أمامي، صور لمقبرة فرعونية ما، ولتابوت جميل الشكل - ولبعض الرجال الذين ينظرون

للكاميرا باسمين، ولجثة لص يبدو عليه الهلع.. ثم أخرج خمس صور صغيرة فعرفت على الفور كنهها...

"هذه هي صور العلماء الذين اجتمعوا - منذ أيام معدودة - على فتح التابوت، وكلهم من خيرة علماء المصريات في (مصر) والعالم كله.. وكلهم هلكوا في ظروف غامضة...".

-.. وعلى وجوههم نفس التعبير الغامض..؟

- وعروقهم خاوية من الدم بنفس الأسلوب..

- ولهذا أبقيتم الأمر سرًا..؟

- إن إحداث ذعر عام لن يفيد أحدًا..

ثم إنه التفت إلى أحد الضباط الجالسين معنا.. لم يكن يرتدي ثيابًا عسكرية، لكن نظرته الحادة وكتفيه العريضتين وكل شيء فيه قال إنه رجل أمن عتيد.. إن ملامحهم لا تتغير أبدًا...

- الآن يحدثنا اللواء (مراد) عن الناحية الأمنية لما حدث..

هرش اللواء المذكور عنقه باحثًا عن الكلمات المناسبة.. ثم ابتسم وقال بصوت رصين:

- إن القصة كلها هي احتشاد فريد لعلامات الاستفهام.. فكل هؤلاء السادة اشتركوا في فحص المومياء حتى أن واحدًا منهم هو الذي التقط هذه الصور التي رأيتها الآن..، ثم بعد ذلك يعودون

لديارهم.. فماذا يحدث؟.. في حالتين كان العالم راهب علم يعيش وحيدًا وفي الصباح تصل مدبرة المنزل أو شقيقة أحدهما لتجد المشهد الذي نتوقعه جميعًا، وفي الحالات الثلاث الأخرى كان العالم يدخل دورة المياه أو يبقى في الدار وحيدًا أو يصحو في الليل ليخرج للشرفة.. ثم تأتي الزوجة لتجد نفس المشهد..، لا داعي طبعًا للقول إننا لم نجد آثار أقدام ولا بصمات ولا شهودًا على أي شيء.. لا آثار صراع ولا آثار سرقة..

- والطب الشرعي؟...

- لا شيء سوى ما قلناه.. لا آثار دماء في العروق، لكن لا ثقوب في العنق إذا كان هذا ما يدور في ذهنك..

- وهل كان العلماء يعانون أمراضًا ما؟
ابتسم في إنهاك.. وقال:
- بالطبع لابد من بعض السكر البولي وارتفاع ضغط الدم.. إلخ، وكلها أمراض عادية تلاحقنا جميعًا..، لكننا كنا نجد دائمًا سيدة مذهولة دامعة العينين تردد دون هوادة أن الفقيد كان في أحسن حال ولم يشك قط..
- إذن لم يصب واحد بالحمى الشهيرة المصاحبة للعنة الفراعنة؟..
- لست خبيرًا بالنواحي الطبية لكنني أجزم بأن الإجابة هي النفي...
ارتفع صوت د. (رمزي) ضاحكًا:
- إذن هأنتذا يا د. (رفعت) تتحدث أخيرًا عن لعنة الفراعنة..

تساءلت في حيرة وأنا أشعل لفافة تبغ:
- هل توجد طريقة أخرى للتفكير؟
- هل تعرف شيئًا عن لعنة الفراعنة هذه؟
نظرت له.. وشرد ذهني عبر الزمان والمكان...

* * *

هل تعرف شيئًا عن لعنة الفراعنة؟..
بالطبع.. أعرف...
ومن فينا لا يعرف...؟..
على أنني في الأيام السوداء التي تلت لقائي بأسطورة (دراكيولا) عام ١٩٥٩ كنت أختبئ في شقتي بالدقي في غرفة نومي التي رصع بابها بحزم الثوم، وكنت

أتسلى بقراءة كل ما كتب عن لعنة الفراعنة..!

يا له من مزاج ويا لها من هواية..!

ومع أكواب الشاي الأسود ولفافات التبغ بدأت أدرك أن لهذه الأسطورة الشنيعة - أسطورة لعنة الفراعنة - أصلًا لابد أن يثير الجدل..

كيف بدأت هذه الأسطورة؟..

لقد هلك علماء آثار كثيرون لكن القصة لم تجد طريقها إلى الرأي العام إلا مع اكتشاف مقبرة (توت عنخ آمون) على يدي (كارتر) ولورد (كارنافون) عام ١٩٢٢... وبعد كفاح ستة أعوام كاملة..

"سيذبح الموت بجناحيه كل من يجرؤ على إزعاج مرقد الفرعون...".

"أنا حامي مقبرة الفرعون الذي يصد اللصوص مستعينًا بلهيب الصحراء".
هكذا أنذرتهما المقبرة بشكل لا يمكن إساءة فهمه...
لكنهما كانا مصرين...
مصرين إلى حد تجاهل كل هذه اللعنات..
مصرين إلى حد إخفاء هذه السطور بعيدًا عن عمال الحفر حتى لا يصابوا بالذعر..
كانت المشكلة مع (توت عنخ آمون) هي أنه مات صغيرًا جدًا.. أصغر سنًا من أن يحسن حماية مقبرته بنفسه، ومن ثم تولى الكهنة هذه المهمة مستعملين أفضل ما لديهم من (تقنيات) سحرية وأرقي ما وصلته (تكنولوجيا) حماية المقابر في ذلك العصر الغابر...

هل تعرف شيئًا عن لعنة الفراعنة؟..
بالطبع أعرف...
أعرف أن ثلاثة عشر شخصًا ممن فتحوا المقبرة في احتفال رسمي قد هلكوا.. وكان أولهم هو اللورد (كارنافون) نفسه الذي بدأ يشعر بارتفاع مريب في درجة الحرارة مع رجفة قوية وظل الأطباء حائرين.. هل هي الملاريا؟ أم تسمم دموي؟.. أم هو...؟
وفي منتصف الليل توفي اللورد في القاهرة.. والغريب أن التيار الكهربي قد قطع في جميع أنحاء القاهرة دون تفسير واضح في ذات لحظة الوفاة... وبعد ذلك بدأ منجل الموت يحصد رؤوس من دنسوا المقبرة دون أن يترك تفسيرًا واضحًا لوفاتهم...

دائما تكون هناك تلك الحمى التي تحير الأطباء ثم الموت الذي يلي زيارة المقبرة مباشرة مما لا يدع مجالًا واسعًا لقوانين الصدفة...

وها هو ذا سكرتير (كارتر) الشاب يموت دون تفسير واضح.. من ثم ينتحر أبوه حزنًا عليه.. وفي أثناء تشييع جنازته يدوس الحصان الذي يجر عربة التابوت طفلًا صغيرًا فيقتله...!!

هل تعرف لعنة الفراعنة؟..

حتمًا أعرفها...

حتى ولو لم أكن وقتها أعرف ما سيحدث بعد سنوات أربع للعالم الإنجليزي (والتر إيمري) الذي سيجد تمثالًا لأوزيريس في أثناء بحثه في (سقارة) عن مقبرة المهندس

الفرعوني العبقري (إمنحتب).. وفي نفس الليلة يموت دون تفسير واضح أمام عيني مساعده المصري..، لكني - بالتأكيد - أعرف ما أصاب عالم المصريات (شامبليون) الذي فك رموز اللغة الهيروغليفية وتوفي في عمر الزهور دون تفسير بمجرد عودته من مصر...

وأعرف أن الطبيب العظيم (تيودور بلهارس) مكتشف دودة البلهارسيا، قد توفي بحمى عجيبة بعد يومين من زيارته للأقصر مع زوجة الدوق (إرنست الأول)..، وأعرف عشرات القصص المشابهة وكلها لشخصيات تلقي حتفها من جراء حمى مفاجئة مع هذيان ورجفة.. على حين يردد كهنة (آمون) في خبث:

- "أفق من إغمائك فإنك ستهزم الجميع.. لقد انتصر (بتاح) على خصومك فلا وجود لهم...".

ثم هلك الدكتور (دوجلاس ديري) والكيميائي (ألفيريد لوكاس) بعد قيامهما بتشريح جثة الفرعون الذي توفي منذ ٣٣٠٠ سنة..

هل تعرف لعنة الفراعنة..؟

بالتأكيد أعرفها...

* * *

ابتلعت ريقي ونظرت للدكتور (رمزي) هنيهة.. ثم غمغمت:

-.. سمعت الكثير عنها..

فرك يديه في مرح وهتف:

- إننا بصدد نمط جديد منها.. فيا له من مجد!.
- وماذا تريدون منى؟
- يا له من سؤال!
وانفجر ضاحكًا حتى دمعت عيناه وأنزل النظارة من على مقدمة رأسه ليتمكن من القراءة بشكل أفضل، وقال وهو يتأمل الملف المفتوح أمامه:
- نريد منك أن تنفي أو تثبت وجود مرض معد في هذه المومياء.. مرض يجفف الدماء في العروق ويحدث حالة ذعر وقتية...
نظر لي الأستاذ (محمد رجب) في فضول وتساءل:

- هل يوجد في تاريخ الطب مرض مماثل؟...

نظرت له ولم أرد.. عاودني الشرود من جديد...

❋ ❋ ❋

منذ خمس سنوات كنت هناك...

في المؤتمر الذي عقده الدكتور (عز الدين طه) الأستاذ بجامعة القاهرة، ولم يكن يعرفني، لكنني كنت بين الجالسين أرهف السمع لنتائج بحث طويل مرهق قام به ذلك العالم الجليل بحثًا عن سر لعنة الفراعنة..، وكان يؤكد أن فطر الـ (أسبرجيللاس نجرا) الذي يعيش ويتكاثر بحرية تامة في المقابر الفرعونية ويصيب

كل من يتعاملون في البرديات.. هذا الفطر كان هو السبب في رأيه وراء عدد لا بأس به من وفيات علماء الآثار...

كنت هناك..، وقد راقت لي دقته العلمية وهنأته بعد المؤتمر ووعدته بزيارات عدة لنناقش الموضوع أكثر. ولم أكن أعرف أنها المرة الأخيرة.

لقد توفي إلى رحمة الله في حادث سيارة مروع بعد المؤتمر بوقت قصير..

ويظل السؤال بلا جواب..

تحدث العلماء عن الفطريات وعن السموم التي - لربما - نثرها الفراعنة في مقابرهم، وعن الباكتيريا التي تنشط فوق جلد المومياوات المتحلل.. وعن الإشعاعات النووية الناجمة عن طبقة

يورانيوم استخدمها الكهنة لدهان المقابر..
وعن الأشعة الكونية التي نشطوها لحماية مقابرهم...
لكن الباب ظل مغلقًا يثير الرعب في القلوب لأنه ما من إنسان جرؤ على تهشيمه وما من إنسان وجد مفتاحه..
ولأنه...

* * *

"ما من مرض مماثل على قدر علمي..".
قال لي د. (رمزي) في شيء من الجفاء..
- لكنك ستبحث عنه طبعًا..
- هذا هو العلم.. لا تعليمات مسبقة ولا تحيزات، التجريب هو المقياس الوحيد..
لقد كان العلماء في الماضي يجدون حلًا

لكل مشاكل الكون في ثوان... وإن آراء (جالينوس) و(أرسطو) لكافية للإجابة على كل سؤال تقريبًا برغم أنها خطأ كلها أو أكثرها..، أما وقد بدأ عصر نهضة العقل وطرق التفكير العلمي المحكمة، فإن ما نعرفه أقل بكثير لكنه دقيق وصائب..

قال د. (رمزي) مجاملًا:

- إن العلم الحديث هو الحقيقة المخيبة للآمال.. في حين كان العلم القديم هو الخيال الممتع..، إنه لشيء محزن أن يعرف المرء أن النحاس لا يتحول الذهب لكنها الحقيقة المحبطة...

- لكن العلم الحديث يعدك بأن تفعل ذلك يومًا إذا كان عندك مدفع ذري متقدم..

شرد ذهنه مدة ثانية.. ثم عاد يفرك يديه:

- فلنعد لموضوعنا..
ونظر للجالسين ليرى رد فعلهم إزاء ما يطلبه مني:
- هل ستفحص المومياء..؟...
بماذا أجيبه؟..
إن هؤلاء السادة ينتظرون ردي فلا تبخلوا علي برأيكم.. هل أفحصها؟.. حسن!
كنت سأقترح عليكم شيئًا كهذا.. إنني لا أتمتع بأية شجاعة.. كل ما هنالك هو أنني فضولي.. فضولي أكثر من اللازم...
يقول الإنجليز إن الفضول قد قتل القط.. ولم أكن أعرف مدى صدق هذه المقولة حتى هذه اللحظة.. ولم أتصور أبدًا أنني قط عجوز...

كنت - كما أقول لكم في كل قصة - ساذجًا.. ساذجًا إلى حد لا يصدق.

* * *

٣ - الباب المغلق..

لماذا قبلت؟

لأن هناك شيئًا اسمه الفضول..، وشيئًا اسمه الحرج من الظهور بمظهر الجبناء، وشيئًا اسمه المسئولية العلمية، وشيئًا اسمه: عمل الشيء لأنك لن تثق أبدًا فيمن يفعله غيرك، ولن ترتاح لاستنتاجاته..

أنا أعرف نفسي.. وعلى خلاف الآخرين لن أموت بهذه البساطة، وإذا أنا هلكت لكان ذلك دليلًا لا يدحض على وجود لعنة الفراعنة.. ذلك الدليل الذي لن أثق فيه كثيرًا إذا ما كان المتوفي واحدًا آخر..!

أنتم تفهمونني.. أليس كذلك؟

❋ ❋ ❋

صبيحة اليوم الحادي والعشرين من يناير...

اقف في ذلك المخزن الذي أعدوه لي جوار الأحمق الوحيد الذي قبل أن يساعدني في هذه المهمة.. الأستاذ (محمد رجب)، بالطبع كان هناك عدد لا بأس به من الأشخاص المهمين ينتظرون بالخارج،

وكان هناك مصور شاب اسمه (نادر) يحمل كاميرا تصوير سينمائي صغيرة، ويقف على بعد أمتار من موضعنا ليصور (الجراحة) كاملة..

أضأت الكشاف القوي الذي أعدوه لنا.. ثم بدأت الإجراءات الاحتياطية التي أعددت لها في صبر...

قمت بالدوران حول التابوت بعداد (جايجر) للتأكد من عدم وجود اشعاعات نووية (وهو احتمال وارد)..

ثم قمت بتشغيل جهاز شفط الغبار حتى لا يتسرب شيء ما إلى رئتي في أثناء الفحص..

بعد ذلك ارتديت قفازين ووضعت قناعًا لا كأقنعة الجراحين ولكن من الأقنعة

المضادة للغازات، وبهذا لم يبق سوى شيء واحد لم أضع له حسابًا بعد.. السحر الأسود.. سحر الكهنة...

وحتى في هذا الصدد تلوت بعض آيات قرآنية..

وبمجرد أن فرغت شعرت بالثقة تفعم روحي..

❋ ❋ ❋

في تؤدة أزحنا غطاء التابوت..



بعد ذلك ارتديت قفازين ووضعت قناعًا لا كأقنعة الجراحين ولكن
من الأقنعة المضادة للغازات ..

كان من سبقونا قد قاموا بانتزاع الزخارف المذهبة الخارجية، لهذا كان من السهل أن نرى مومياء الملك لا تسترها سوى لفائف حريرية وقناع ذهبي شبيه بقناع (توت عنخ أمون) فيما عدا أن ملامحه كانت تفتقر للبراءة والسلام اللذين تعكسهما ملامح هذا الأخير..

وببطء شديد تناولت المبضع وقمت بعمل شق صغير في طبقات الكفن، ثم شرعنا نزيح طبقاته المتآكلة جانبًا..

كانت مهمة بطيئة وقذرة، لكننا قمنا بها عاثرين – كالعادة – على عشرات الحلي والمجوهرات بين طيات القماش، مع عشرات التعاويذ لإله الشر عند الفراعنة..، أما ما أثار انتباهي فهو نوع من البلورات

العجيبة متناثرة بلا نظام بين طيات النسيج.. بلورات دقيقة جدًا كرقائق الثلج.. وأنا لا أفهم شيئًا في الأحجار الكريمة لكني أعتقد أن هذه البلورات لا تمت لها بصلة..

رفعت عينا متسائلة نحو شريكي فهز رأسه بما يعني أنه لا يفهم ما هي بالضبط..، ومن إصبعين ليمسك واحدة منها متأملًا..

التقطت بعض هذه البلورات بالجفت الجراحي ووضعتها في وريقة صغيرة جدًا لأحللها فيما بعد، أما الآن فالجزء الأكثر تعقيدًا ينتظرنا ألا وهو انتزاع اللفائف عن جذع المومياء..

وجه (محمد رجب) يزداد اصفرارًا.. يا لك من أحمق!..

كان الجلد هشًا رمادي اللون.. وقد قمت بأخذ عينة منه قمت بترقيمها.. ثم عدة عينات من الأوعية الدموية المتخثرة تحته، وقمت بعمل عدة مسحات باكتريولوجية على أنابيب اختبار معقمة بحثًا عن تلوث باكتيري..

- لا توجد أحشاء!

قلتها في حيرة.. فقال وهو يغالب الغثيان والعرق يحتشد على جبينه::

- كان الفراعنة ينتزعون الأحشاء لأنها سريعة الفساد و.. ويضعونها في ما.. يسمى... الا.. الأوعية الكانوبية..، والقلب كانوا ينتـ.. ينتزعونه ويضـ.. يضعون مكانه جعرانًا مقـ.. مقدسًا.. هااه!..

ثم استدرك في حيرة:

- الغريب هنا أن هذه المومياء من.. من الأسرة السادسة، وعادة انتزا.. انتزاع الأحشاء.. اء.. تعود.. هاه.. للأسرة الـ.. ثانية عشرة..

- إذن كان المرحوم سابقًا لعصره..

هنا سمعت صوت السقوط...

فعلها الأحمق!.. لن أفهم أبدًا كيف يسمح إنسان ناضج لنفسه بأن يفقد الوعي؟!.. خاصة في لحظات هامة كهذه...

انفتح الباب واندفع د. (رمزي) ومعه اثنان آخران، وقد بدا عليهما الذعر وإن لم يجرؤوا على الاقتراب أكثر..، وكذا فعل المصور..، وسألوني بصوت واحد:

- هل مات؟!..

قلت في لا مبالاة وأنا أضع عيناتي في حقيبتي:

- بالطبع لا.. كل ما في الأمر أن عصبه (الحائر) يعمل بكفاءة غير عادية...

- هل نطلب الإسعاف إذن؟.

- لا داعي لذلك.. سيفيق حالًا، وإذا لم يفق فإن حقنة (أتروبين) واحدة ستؤدي الغرض...

ثم إنني بدأت أعيد تغطية المومياء وأعدت التعاويذ والمجوهرات إلى مكانها. ودعوت المصور الشاب كي يساعدني في تغطية التابوت..، ولما كنت قد أغلقت حقيبتي دسست الوريقة الصغيرة في علبة سجائري المصنوعة من الورق المقوى، وانتزعت القفازين فألقيت بهما في دلو من

(الفورمالين) مع أدواتي الجراحية، ثم نهضت نحو ذلك الأبله المغشي عليه وبدأت ألطم خزيه وأقرصهما مرارًا حتى فتح عينيه..

وخرجت إلى مكتب د. (رمزي) حاملًا الحقيبة.. أشعلت لفافة تبغ.. ثم طلبت فنجان قهوة بلا سكر، وبدأت أحكي له ما وجدناه.. وقد أبدى اهتمامًا غير عادي بموضوع عدم وجود أحشاء في مومياء من الأسرة السادسة (هؤلاء القوم يهتمون بتفاهات لا تنتهي)..

- إن كل ما يحيط بهذا الفرعون غريب وغير معتاد..

- وماذا عن التعاويذ الكثيرة التي وجدناها..؟

- كالعادة.. كلها تتحدث عن خراب بيت من يجرؤ على إقلاق راحة الفرعون..، الغريب هنا أنها جميعًا تحمل صور (ست) إله الشر عند الفراعنة، مع أنه من المعتاد أن تجد الكثير من صور (أوزيريس)..

وهنا دخل (محمد) الغرفة مترنحًا وقد بدا عليه الإعياء الشديد، جلس على مقعد في الركن يشرب المشروب الغازي الذي أحضروه له..

- أنت مرهف الحس يا صديقي..

- وأنت معدومه..!

- شكرًا...

قال د..(رمزي) وهو يدير قرص الهاتف:

- متى نتلقى ردك؟.

- ليس قبل أسبوعين.. سأقوم بتحليل دمه، وأنسجته.. ثم أضع مزارعي في ظروف هوائية ولا هوائية.. ولابد من انتظار نمو الباكتيريا، ثم إن هناك أبحاثًا معقدة لمحاولة إنماء جراثيم الفطريات...

قال وهو يضع السماعة على أذنه منتظرًا رد الطرف الآخر:

- كما قلنا لك.. السرية مطلقة.. سنضع معامل وزارة الصحة تحت تصرفك حتى لا يكون هناك مجال للأسئلة الفضولية في الجامعة.. و.. آلو!.. دكتور (شاكر)؟.. كيف حالك؟.. ستصلك العينات بعد ساعة.. شكرًا..

ووضع السماعة.. ونظر لي:

- لم نعرف بعد رأيك المجرد في الأمر...

- ليس لي رأي.. وحتى هذه اللحظة لا يعرف العلم مرضًا يسبب ما حدث لعلمائكم وذلك اللص..

- ربما هو مرض جديد؟

- ربما.. وبذلك يكون لنا شرف نشر هذا المرض بعد أن ظل خافيًا كل هذه القرون..

ابتسمٍ د. (رمزي) في غموض.. وقال ضاغطًا على كل حرف من كلامه:

- منذ اللحظة أنت المرشح رقم واحد لتكون الضحية التالية لهذه المومياء يا د. (رفعت) ولو سارت الأمور كما أتوقع فلن نجدك في عالمنا هذا بعد أسبوعين.. هل يثير هذا رعبك؟!

- إن هي إلا ميتة واحدة محددة التاريخ والأسلوب.. فإذا لم تحن ساعتي فلن تستطيع مومياوات الأسر كلها أن تؤذيني حتى ولو كانت أحشاؤها موجودة...

ضاقت عيناه أكثر.. وهمس:

- أنت مصيب لكنك تنسى ما هو أشد قسوة من الموت.. الرعب!.. الرعب غير المبرر الذي يحيل حياتك جحيمًا ويجعلك تتمنى الموت ولا تناله..

وصارت عيناه عيني ثعلب وهو يردد:

-.. الرعب يا صديقي.. الرعب!

* * *

مثلما يحدث في الأفلام السينمائية ظل صدى عبارته يتردد في دهاليز عقلي فيما

أنا أقود سيارتي متجهًا إلى الإسكندرية..
الرعب يا صديقي الرعب!...
كان اليوم هو الخميس.. موعد زيارتي الأسبوعية لـ (هويدا) خطيبتي التعسة، وكانت أضواء السيارات تتسابق في مرآتي.. والأزرق الحزين يزحف ببطء منذرًا بحلول ليل الشتاء المبكر..، والهواء الرطب المكهرب يبشر بهطول أمطار رعدية.. و(أم كلثوم) تغنى في المذياع..
الرعب يا صديقي.. الرعب!..
- أيها الحمار!
دوت الصيحة من سائق عربة كدت أصدمها وأنا انحرف لليمين.. كنت شارد الذهن تمامًا إلا أن صيحته أعادتني لعالم الواقع.. ولم يكن هناك حمار آخر سواي

بالطبع ؛ لذا تمالكت أعصابي وقبضت بحزم أكبر على عجلة القيادة، يجب ألا أدع مجالًا للمصادفة كي تربط بين مصرعي وبين تدنيس تابوت الفرعون (أخيروم)..، لن أنتهي كسطر آخر يضاف إلى الكتب التي تتحدث عن لعنة الفراعنة.. ولن أتحول إلى علامة استفهام أخرى تثير حيرة عالم يأتي بعد سنوات...

إذا مت فليكن ذلك لأن لعنة (أخيروم) تلاحقني وليس لأنني حمار كما يزعم ذلك السائق غير المتحضر..

الرعب يا صديقي.. الرعب!..

تأملت الحقول المظلمة على الجانبين وخطر لي أن سفري بالسيارة كان مرهقًا أكثر من اللازم.. ما هي مشكلة القطار؟..

(كفر الزيات).. (إيتاي البارود).. لن أنام.. إنني مرهق وقد كان يومي حافلًا بحق.. لكني سأظل متيقظًا...

يحتاج السيد (أخيروم) إلى قدرة هائلة كي يلاحقني في رحلتي السريعة هذه.. إن هذه الفكرة تمنحني اطمئنانًا حقيقيًا...

(إسكندرية) أخيرًا..!.. لقد وصلت..

عروس البحر التي أنهكني عشقها..

* * *

"(رفعت).. ألا تلاحظ أنك للمرة الألف تتكلم عن مصاصي الدماء؟".

قالتها (هويدا) في شيء من الاستنكار لي ونحن جالسان في تلك (الكافتيريا) الدافئة

نصغي لموسيقا (التانجو) ونحتسي الكاكاو..
- وماذا في ذلك؟.. إن الحديث عن مصاصي الدماء مسل و..
- لكنها المرة الألف...!.
قالتها.. وابتسمت في شيء من الحنان.. ومضت تفسر موقفها:
- ألا ترى أن كل هذا يفوق المألوف..؟.. خطيب يأخذ خطيبته لأماكن شاعرية كي يحدثها عن مومياء (دراكيولا) وإصبع الرجل الذئب والنرويجي الذي التهمة ذلك الوحش الإسكتلندي بقضمة واحدة..
- لكنها قصص شيقة وأنا أحبها..
-.. والأسبوع الماضي حدثتني عن الموتى الذين يغادرون قبورهم في

(جامايكا) وعن حارس الكهوف الذي يهشم أعناق ضحاياه.. و..

- إنها أجمل ذكرياتي..

صرخت بصوت أثار انتباه الجالسين جميعًا وارسل الدم حارًا إلى أذني..

- لكني أكرهها!.. وكلها تؤرق منامي..!.

اشعلت لفافة تبغ في عصبية وكدت أوجه لها بعض كلمات قاسية ثم عدلت عن ذلك، واكتفيت بأن دمدمت وأنا أدفن وجهي في قدح الكاكاو:

- الحقيقة هي أنك مللت وجودي..

كنت أوشك أن أحكي لها مغامرة تشريح المومياء التي خضتها صباح اليوم لأثير إعجابها، لكنها سكبت الماء البارد فوق نيران حماستي، من السهل أن يمقت

الرجل تلك الفتاة التي لا تهتم بما يهتم هو به..

قالت في شيء من الرقة:

- دخنت كثيرًا..

- هكذا أنا..

مدت يدها إلى علبة سجائري وألقتها في حقيبتها أمام نظراتي المحتجة.. ذلك التصرف الذي لابد أن تمارسه أية خطيبة مع خطيبها حتى ولو كانت تحب رائحة التبغ وحتى لو كانت مدمنة تدخين.. لابد أن تقول ذات النصيحة التي صارت مقدسة عند أية خطيبة..

- سأكون حارسة صحتك.. ولن تجرؤ على الاعتراض..

ثم هتفت في مرح:

- والآن دعنا نذهب إلى السينما...

❋ ❋ ❋

شرع الهنود الحمر يطلقون صرخاتهم المفزعة في حين وقف المأمور (جيمس ستيوارت) ثابت الجنان يفرغ رصاص بندقيته في صدورهم..، وبعد عدة طلقات بدا واضحًا أنه قتل كل شخص في الفيلم بما فيه المخرج نفسه..

تثاءبت في سأم، وعدت أشاهد الأحداث بنصف عين حين سمعتها تهمس في مسمعي:

- ليتك تكون مثله..!

- وأقتل الهنود؟..

- بل تكون شجاعًا وسيمًا مثله..

كدت أرد عليها ردًا يبكيها.. ثم وجدت أن التسامح شيمة الكرماء فقلت:

- سأحاول.. أعدك بذلك.. ولكن غدًا إن شاء لله..

ومضيت أتابع الأحداث في تعاسة...

أدرت وجهي لأرى الجالسين حولنا..، وكانوا قلة لأننا المخبولان الوحيدان اللذان يدخلان السينما في هذا الطقس المنذر بعاصفة..، وفي الصف الواقع خلفنا كان هناك رجل يجلس وحده ومعالم وجهة غير واضحة في الظلام..

ثمة شيء غريب في هذا الرجل..

برغم الظلام شبه الدامس كنت أرى حدود وجهه واتجاه نظراته.. هذا الرجل لم

يكن ينظر للشاشة بتاتًا، بل كان يرمقنا بتركيز غير عادي..!
قلت لنفسي إنه فضولي آخر يهمه اختلاس النظر لرجل وامرأة يتهامسان، وعدت أتابع أحداث الفيلم شارد الذهن.. ثم أدرت راسي نحوه بغتة..
كان يرمقنا بنفس الإصرار والتركيز..!..

إن هذا غريب.. غريب حقًا..
إما أنني واهم - من فعل اعصابي المرهقة - وإما أنه وقح إلى درجة لا



هذا الرجل لم يكن ينظر للشاشة بتاتًا ، بل كان يرمقنا بتركيز غير عادى ..

توصف، أو هو مكلف بمراقبتنا من شخص لا أعرفه.. أو..
انفجر مخزن الديناميت - على الشاشة - وتناثر الهنود في الهواء..
انتهزت هذه الفرصة وأدرت رأسي سريعًا تجاه الرجل لأرى وجهه في الوميض المنبعث من الشاشة...
فلم أجده...!..
متى انصرف؟.. كيف لم أشعر به؟.. وكيف غادر مقعده بهذه السرعة وتحسس موطئ قدميه في الظلام؟.. هناك شيء غير مريح في كل هذا...
- ماذا بك؟
قالتها وهي تناولني بعض (الكاراميل).. فلم أجب..

- أنت تغار من (جيمس ستيوارت)؟.
يا لك من حمقاء!!.. ما زالت تذكر الموضوع وتحسب شرودي دليلًا على الجرح العميق الذي أصابني حين تخلت عني من أجل (جيمس ستيوارت)...، لهذا قلت لها وأنا أمتص قطعة الحلوى:
- أنا أغار من المأمور وليس من الممثل!..
- وما الفارق؟
- الثاني يتظاهر بالشجاعة لكني واثق من انه يموت خوفًا لو أن فارًا متحمسًا داعب قدمه..
ضحكت وضحكت، وناولتني لوحًا من الشوكولاتة وعادت تتابع الفيلم في شغف، في حين ذبت أنا في مستنقع تشاؤمي

الآسن مفكرًا فيما عساه يحدث في الأيام القادمة..

وحين نظرت للوراء وجدت ذلك الرجل جالسًا في نفس المقعد..!

- تعالي ننصرف...

- ولكن.. ماذا هنالك؟.. إنه لم ينقذ المغنية بعد..

- بالتأكيد سينقذها.. المهم الآن أن ننصرف لأنني لا ارتاح كثيرًا لهذا الرجل الجالس خلفنا..

نظرت في خفة إلى الوراء.. ثم سألتني بحيرة:

- عن أي رجل تتحدث؟.. لا أحد في القاعة سوانا..!!

* * *

على سلم دارها صافحتها.. فشكرتني على الأمسية ودعتني كي اصعد قليلًا لأشرب قدحًا من الشاي وأحيي والدتها - حماتي المقبلة - فاعتذرت لها بأن الوقت متأخر، وأنني يجب أن أعود للقاهرة في ساعة مبكرة من صباح الجمعة.. ووعدتها بأمسية أفضل في الأسبوع القادم..

وما إن سمعت قرعات كعبيها المنتظمة على درجات السلم حتى واربت باب العمارة وعدت لسيارتي، متجهًا إلى ذلك (البنسيون) الذي اعتدت أن أقضي فيه ليالي الخميس منذ خطبتها..، إن إقامتنا متباعدين لمشكلة، لكنني كنت آمل بعد

الزواج أن تنتقل لتعيش معي في القاهرة خاصة وأمها العجوز تنعم بصحة لا بأس بها، ولن تكون ثمة مشكلة في تركها بالإسكندرية قريبة من ابنتها الأخرى (سهام) و(عادل) صديقي الذي أقحمني في كل هذا...

وفي ساعة مبكرة من صباح الجمعة عدت أشق طريقي عائدًا إلى القاهرة..

* * *

وكأنما كان بانتظاري...

ما إن فتحت باب الشقة حتي دوى رنين الهاتف، ذلك الرنين المتقطع المتحمس الذي يدل على أن صاحبه يموت قلقًا..!

رفعت السماعة بتؤدة وأخبرت الطرف الآخر أنه آلو..!

-د. (رفعت)!.. أخيرًا!..

كان هذا الصوت مألوفًا لكني لم أعرف في البدء من هو..

- أنا (رمزي).. (رمزي حبيب)..

- آه!.. كيف حالك يا دكتور؟

- وأين كنت طيلة الليل؟!

- في سفر.. ولكن ماذا حدث؟

هل أنا واهم أم أن هذا الصمت متعمد منه؟.. لحظات مضت كالدهر لا أسمع سوى أنفاسه، ومن بعد صوت تلاوة قرآن الجمعة استعدادًا للصلاة..

- د. (رمزي).. ماذا حدث؟

تنهد في شيء من الحرج، وقال:

- الأستاذ محمد رجب..!.

قلت بصوت كالبكاء وقد أدركت ما هنالك:

- مات؟..

- نفس الوفاة الغامضة.. خرجت زوجته مع أطفاله للنزهة، وحين عادت كان جالسًا أمام التليفزيون في نفس الوضع الذي تركته فيه ولكن...

أنا لا أفهم شيئًا.. لا أفهم حرفًا...

بنفس الأسلوب وبهذه السرعة؟.. ذلك الشاب المتحمس الذي كان يثرثر أمس عن (أخيروم الأول) ويتهمني بانعدام الحس.. اليوم هو جثة شاخصة البصر جافة الدماء..، ود. (رمزي) ما زال يتكلم:

-... شرعي.. وكالعادة لا شيء...

ثم سأل بشيء من التوتر:
- هل أنت مصغ...؟
- بالتأكيد...
- إذن أتوسل إليك أن تكون حذرًا.. لا تبق وحيدًا لحظة،.. لم لا تأتي لتمضية الأيام القادمة معي..؟
- شكرًا لك.. لكن الحذر لا يمنع القدر..
ثم إنني وضعت السماعة.. واتجهت إلى المطبخ شارد الذهن، فأعددت لنفسي بعض القهوة، وكأي بيت مصري عريق في يوم الجمعة أشعلت بعض البخور ليعبق بخاره المحبب جو البيت..، ثم بدأت أستعد للصلاة في المسجد القريب حين دق جرس الهاتف اللعين مرة أخرى.. هذه المرة ذلك

الرنين الطويل العنيد الذي يدل على مصيبة قادمة من محافظة أخرى...

- آلو...

صوت (عادل) الحازم يصرخ:

- أين أنت عليك اللعنة؟!

- يا لها من تحية لصديق..!

- أنا لا أمزح.. أين أخذت الفتاة؟!

- اية فتاة..؟

- (هويدا) يا أحمق..!.. (هويدا)..!.. لقد قضينا أسود ليالي حياتنا، وفي الفجر أرسلت عشرة من رجالى يبحثون عنك وعنها في كل مكان من المدينة دون جدوى..، وطلبتك ها هنا مرارًا.. أين هي يا (رفعت)؟.. (رفعت)!.. أجب عن سؤالي...

السماعة متدلية على الأرض وصوت (عادل) المعدني يكرر صراخه:

- أين هي يا (رفعت)؟.. (رفعت)؟!..

....

❋ ❋ ❋

الجزء الثاني

الفتاة

"إن التدقيق في شريك حياتك المقبل هام جدًا.. يجب أن تعرفي عاداته.. صداقاته.. أحلامه.. أسراره.. والأهم.. يجب أن تتأكدي من أنه لا تطارده مومياء فرعونية حانقة...".

٤ - بداية جديدة..

قالت (هويدا):
كان رقيقًا كالحلم.. غامضًا كالليل.. حزينًا كالغروب.. وكان يحبني..

* * *

في البدء قابلته عند شقيقتي (سهام) في دارها2، وكانت قد أخبرتني ببعض الأشياء عنه، منها أنه في الأربعين من عمره وأنه صديق (عادل) زوجها منذ سني الصبا الأولى وأنه خارج من قصة حب فاشلة مع فتاة أسكتلندية حمقاء..

وهناك رأيته ودرست ملامحه - بالطبع دون أن يلاحظ ذلك – وكان على شيء من الوسامة، ليس قبيحًا وليس فاتنًا..، ثمة حزن عميق في عينيه الذابلتين خلف منظاره وتجاعيد مريرة على جانبي فمه وعلى جبينه الحكيم، وكان شعر راسه قد زال أو كاد مما أكسبه لمحة أبوية محببة للنفس..

بالطبع لم يكن أبدًا فارس أحلام ولن يكونه ابدًا..

لكنه زوج.. وزوج مخلص بطبعه..

وبلمحة لطيفة دعاه (عادل) إلى اصطحابي لمنزلي، وهي الدعوة التي قبلها عن طيب خاطر..، طيلة طريق العودة للدار كان صامتًا لكني كنت أشعر بألف

قصيدة وألف عبارة غزل وألف حلم يصطرع على لسانه، وكان يدخن بشراهة حقة..

لم أدعه يوصلني للدار نفسها بل لمدخل الشارع، لأنني خجلت من أن يرى بيئتي المتواضعة.. على الأقل ليس في المرة الأولى..

وبعد هذا قابلته في معرض لمثال قاهري اسمه (عزت)، والحق أقول إنني لم أكن أعرف مطلقًا أن هذا الـ (عزت) هو جاره، ولقد دعاني (عادل) إلى حضور المعرض معه وأخبرني أننا حتمًا ملاقيان (رفعت) هناك..

لست مهتمة يا صديقتي..، صدقيني يا أختاه..، لا أريد شيئًا منك سوى أن تساعديني، في التزين، وأن تقرضيني أفضل أثوابك وأن تلاحظي بعين منتقدة كل صغيرة وكبيرة في مظهري...

أنا لا أعبأ به يا بنات..، حتى وهو يقطع حديثه مع المثال لتلتمع عيناه انبهارًا.. ويصافح (عادل) في حماس، ويبدأ في الثرثرة عن (مايكل أنجلو) و(أوجست رودان)، ولم أكن أهتم بموضوع حديثه أبدًا لكنني أحسنت الإصغاء واستمتعت بكل حرف...

ومنذ هذه اللحظة أدركت أننا سنتزوج..



وبعد هذا قابلته فى معرض لمثال قاهرى اسمه (عزت) ..

حذرني (عادل) - ويا له من أخ كريم - من أن (رفعت) هذا غريب الأطوار كثير الأسفار.. وأن له اهتمامًا حميمًا بقصص الرعب التي كانت أمهاتنا تحكيها لنا ونحن بعد أطفال..

لهذا لم أقلق كثيرًا حين تركني وسافر للولايات المتحدة..

ولم تفزعني رحلته المفاجئة إلى اليونان...

ولم تثر حفيظتي جولته في ليبيا...

ما دامت خطاباته الرقيقة وبطاقاته تصلني من كل مكان يذهب إليه..

الحق أقول يا صديقاتي إنه تبدّل كثيرًا...

ازدادت خصلات الشعر الأشيب في رأسه، وتضاعفت تجاعيده، وانعكست

نظرة عجيبة في عينيه بدلًا من نظرة الحزن العتيدة.. نظرة رعب.. نظرة قط حبيس يتوسل كي نفتح له الباب..

وقالت لي شقيقتي وهي تغرس بعض دبابيس الشعر في جدائلي:

- لقد حان الوقت..

- وقت ماذا؟

- لقد طالت القصة أكثر من اللازم..

- أية قصة..؟

- أسطورة العاشق المتردد..!

وشعرت شيئًا من الخشونة في يدها وهي تعتصر خصلات شعري.. فقلت:

- يبدو خائفًا من الارتباط..

قالت وهي تخرج من بين شفتيها دبوسًا آخر:

- إن الرجال أطفال كبار وهم لا يتزوجون أبدًا ما لم يطلب أحد ذلك منهم..

- وتريدين أن أطلب؟

قالت في دهاء:

- ضعيه أمام مفترق الطرق.. إما أن يطلب يدك وإما أن يكف عن إرسال الخطابات والتودد..

وقد كان يا أختاه..

لقد كانت ليلة شبيهة بالحلم في دار أختي يحف بنا أطفال وسيمو الوجوه كالملائكة، وخاتمه الذهبي يغفو - كالرضيع - حول إصبعي..

وبدأت أعرفه أكثر...

وبدأت زياراته تأخذ طابعًا منتظمًا..، في دارى التي لم أعد أرغب في ألا يراها،

ورفقه بأمي العجوز الطيبة.. ومودته المهذبة...

شيء واحد ضايقني فيه..

هو لم يكن يحسن التعبير عن عواطفه، ولم يكن يملك سوى سيل لا ينتهي من القصص الشنيعة عن مومياء مصاص الدماء والنداهة، ورأس الشيطانة اليونانية التي تحيل البشر إلى رخام...

كنت أصغى له متظاهرة بالاهتمام...

لكن ما إن يجن الليل حتى تحتشد الأشباح في غرفة نومي، وأمضي الليل جالسة في الفراش متكورة على نفسي ألعنه في سري..

لقد صارت هذه القصص جزءًا أساسيًا من شخصيته..

حتى أنني - في أوقات عدة - كنت أشعر أنه هو نفسه كائن شيطاني من تلك الكائنات التي يتحدث عنها..

أما الشيء الآخر الذي ضايقني فهو سخريته المريرة..

كان يسخر من كل شيء، ويرى في كل موقف مثير تكرارًا لا يخلو من الإملال.. لهذا كنت اسأله في حيرة:

- لماذا تتعامل مع الناس كأنهم دعابة سخيفة سمعتها مرارًا؟

- لأنهم كذلك!

ثم يشعل لفافة تبغ أخرى.. ويقول:

- كل كلامهم قيل من قبل، وكل حوادث حياتهم وقعت من قبل... لكنهم نسوا...

فيما عدا ذلك...

أعتقد أن (رفعت إسماعيل) لم يكن بهذا السوء...

❋ ❋ ❋

حين صارحته برأيي في كلامه عن مصاصي الدماء، لم يبد سعيدًا جدًا، لأنه كان يحسب بداهة أنني أحب هذا الحديث..

كنا جالسين في الكافتيريا نحسو الكاكاو.. بينما لفافة التبغ التي لا تفارقه تبعث سمومها ما بين أصابعه، لهذا رأيت أن أتخذ خطوة إيجابية ما..

مددت يدي إلى علبة سجائره وأخفيتها في حقيبتي.. وقلت بلهجة مرحة محاولة تهدئة مناخ التوتر:

- سأكون حارسة صحتك.. ولن تجرؤ على الاعتراض..

وإزاء نظرته النارية نحوي اقترحت عليه أن نذهب للسينما...

لقد بدا لي ذلك شاعريًا وسط العواصف ونذائر الأمطار أن نجوب الدروب معًا، وأن نجلس وحيدين في قاعة السينما الدافئة نرمق الأحلام الملونة على الشاشة في حين يسود الزمهرير الشوارع..

كان الفيلم من بطولة (جيمس ستيوارت) ويتحدث عن مأمور قرية شجاع وسيم يحب مطربة حسناء، لكن الهنود الحمر يخطفونها.. من ثم يصمم على استعادتها منهم ويطلق الكثير من الرصاص من أجلها..

لكم تمنيت لو أن (رفعت) يملك عُشر.. مجرد عُشر قوة وشجاعة ووسامة ورقة ذلك المأمور، لكنه ازداد تعاسة حين صارحته بهذه الأمنية..

كان كثير الالتفات إلى الخلف لسبب لا أدريه، وفجاه دعاني للنهوض لننصرف، مما أثار دهشتي.. لم أتصور أن تبلغ به الغيرة من بطل الفيلم هذا الحد المروع!..، كنت أحسبه أنضج من ذلك...

- ولكن ماذا هنالك.. انه لم ينقذ المغنية بعد..

قال كلامًا لا أفهمه عن رجل يضايقه في الصف الخلفي، وبالطبع لم أجد أحدًا في ذلك الصف ولا في قاعة السينما كلها..

وهكذا واصلنا مشاهدة الفيلم وأنا شاردة الذهن أتساءل عما دهاه...

* * *

كان البرد ينخر عظامنا حين مضينا عائدين في الدروب المظلمة إلى داري، وكان هو متعكر المزاج إلى حد لا يصدق..

إلا أنه لم ينس - في تحد واضح لي - أن يبتاع علبة تبغ من بقال لم يغلق محله بعد في هذه الساعة المتأخرة من الليل..

وأمام باب العمارة حياني وتمنى لي أمسية طيبة..

- ألن تصعد قليلًا لتحسو بعض الشاي..؟

- نعم.. إن الوقت متأخر...

- على الأقل لتودع أمي...
- أبلغيها سلامي.. إن لدي من الأسباب ما يحتم سفري في التاسعة من صباح غد، وهو وقت مبكر جدًا بالنسبة ليوم الجمعة...

في حنان سألته:
- نفس البنسيون..؟
- لا يوجد غيره...
- أعدك أنك ستنعم بالاستقرار أيها العزيز.. قريبًا جدًا..

هز رأسه في رقة، ووقف على الباب ينتظرني حتى أصعد درجات السلم في ضوء المدخل الخافت، ثم لم أعد أراه فأدركت أنه انصرف...

* * *

تقع شقتي في الطابق الثالث، ولما كانت البناية من طراز قديم فإن الطوابق مرتفعة جدًا، وعدد الدرجات المتآكلة للدرج لا نهائي..

شرعت أعبث في حقيبتي باحثة عن المفتاح، ثم إنني رفعت رأسي ببطء لأرى... كان هناك رجل متشح بالظل يقف على قمة السلم عند الطابق الثالث وقد عقد يديه على صدره في صبر كأنه ينتظرني..!

من هو؟.. هل هو أحد الجيران؟.. مستحيل.. فليس الوقوف على سلم في

منتصف الليل من ديدنهم..، وماذا يبتغي بالضبط؟..

لم أكن قادرة على رؤية وجهه الغارق في الظلال، لكن شيئًا حدثني أنني لا يجب أن أفعل.. رعب غامض غير مبرر سرى في عروقي وجعلني غير راغبة بأي حال في تمييز ملامح هذا الغريب...

كان قلبي يتواثب كالضفدع... هل أصعد وليكن ما يكون؟.. مستحيل...

هل أصرخ؟.. ربما يكون الأمر كله غير ذي أهمية، وعندئذ سأبدو للجيران جميعًا حمقاء إلى حد لا يصدق، وعلى كل حال فإن الصراخ سيذهب بالبقية الباقية من تعقلي...

إذن أهبط.

أهبط سريعًا لألحق ب (رفعت) وأدعوه إلى أن يصعد السلم معي...

شرعت أنزل الدرجات مسرعة محاولة الا أحطم كاحلي من جراء التواء كعب الحذاء العالي، ولم أجرؤ قط على رفع عيني لأرى ما إذا كان ذلك الغريب قد شرع يهبط السلم خلفي أم لا..

هواء الليل البارد، والشارع، والأضواء الخلفية الحمراء لسيارة (رفعت) إذ تبتعد إلى مكان لا يمكن أن يسمعني منه..!

يا لك من غبي يا (رفعت)!.. يا لك من معتوه..!..لماذا لم تصعد معي؟..

لم يبق أمامي سوى إيقاظ جارتنا (فتحية) المقيمة بالطابق الأول كي توقظ بدورها ابنها الشبيه بالغوريللا (هشام) كي يصعد

معي (ليتفاهم) بطريقته مع ذلك السيد الذي لا يجد شيئًا أفضل يفعله سوى ترويع بنات الأسر الرقيقات...

إن (هشام) سيستمتع أيما استمتاع بضرب ذلك الوقح...

دخلت من مدخل البناية...

فوجدت نفس الهيكل المتشح بالظلام واقفًا ينتظرني.. في بئر السلم هذه المرة..!

* * *



فوجدت نفس الهيكل المشع بالظلام واقفًا ينتظرنى .. فى بئر السلم
هذه المرة ..!

٥ - الهرب إلى لا مكان..

"أفق من إغمائك فإنك ستهزم الجميع.. لقد انتصر (بتاح) على خصومك فلا وجود لهم..".

* * *

شرعت أجد السير بخطوات واسعة فوق الأسفلت..
كنت أستطيع الجري لكنني كنت أخشاه كما خشيت الصراخ من قبل، لأنه

سيستهلك قواي الجسدية والعصبية ويشعرني بذعر حقيقي..
ضوء مصابيح الشارع الذابلة، وكلب أجرب يرمقني في حيرة، وبعض القطط المشعثة تكف عن الشجار فوق كومة من القمامة وعيونها الواسعة تتساءل عما هنالك..
ليتني كنت أستطيع أن أخبرها..
ولحسن الحظ كان البقال عند الناصية يوشك على إغلاق حانوته.. عم (جلال) العجوز الطيب الذي اشتريت منه أقراص النعناع وانا بعد طفلة.. وأشتري منه الحناء لشعري وأنا شابة..، البقال الذي ابتاع (رفعت) علبة التبغ من عنده منذ ربع ساعة..

دخلت الحانوت الآمن ممتقعة الوجه باردة الأطراف.. رائحة الجبن الرومي والزيتون والكحول.. ذلك الخليط المحبب للنفس، والوجه الباسم المجعد لذلك الرجل الطيب.

- عم (جلال)...

- هل ذهب الدكتور يا بنيتي؟..

- نـ.. نعم.. هل أجد عندك... مياهًا غازية..؟..

هز رأسه في حيرة:

- في هذا البرد؟.. ما دمت تريدين ذلك.. ولماذا جئت وحدك في ساعة كهذه...؟

- ابتلعت ريقي، وشرعت أحكي له مغامرتي القصيرة بصوت مرتجف.. وسياق مختل..، لكنه فهم فحوى القصة..

لذا احمر وجهه غضبًا وامسك السكين التي يقطع بها الجبن ملوحًا:
- سأوصلك لدارك.. ودعي إبن الـ (...) هذا يحاول أن يعترض طريقك، عندئذ لا يلومن إلا نفسه..!
- إنه آت بنفسه!!
هكذا قاطعته وأنا أشير إلى الشارع المظلم خارج دائرة الضوء..
صرخت في هستيريا وأنا أرى ذلك الظل المخيف يتقدم في تؤدة من الحانوت ويداه في جيبه.. فلم أتمالك الا أن أرتجف...
انتابت البقال العجوز حمى الشهامة فاندفع نحو القادم ملوحًا بالسكين.. وأمسك به من قفاه وهو يسبه أقذع السباب.. و..

- إنني أعرف كيف أتعامل مع أمثالك ممن يتسلون بإفزاع الأبرياء..

شرع الرجل يحاول التملص مرددًا أنه لا يفهم وأن هناك خطأ ما.. لكن البقال كان متحمسًا، وهنا بدأت ابتسامة تغزو وجهي:

- آ.. عم (جابر).. ليس هذا هو الرجل..!

- لكن الإجرام باد على وجهه!

- لم أر وجهه وهو آت.. أما الآن فأراه.. إنه زوج جارتنا.. وهو بالمناسبة مفتش تموين!..

شرع عم (جابر) يعتذر للرجل البريء الذي جاء ليشتري علبة تبغ من الحانوت الوحيد المفتوح في هذه الساعة المتأخرة.. وشرع يؤكد للرجل أن من لا يعرفه

يجهله، وأنه لا مؤاخذة في حماية فتاة بريئة مثلي...
في كبرياء قال الرجل وهو يصلح من شأن ثيابه:
- إذا كنت ستضرب كل من يشتري علبة تبغ بالسكين فإنني لا أتوقع أن تروج تجارتك كثيرًا!
ثم دس ما اشتراه في جيبه وانصرف محنقًا.

❋ ❋ ❋

لبضع دقائق ساد الصمت...
بدأ البقال العجوز يغلق المحل في تؤدة برغم نفاد صبري، ثم إنه تأبط ذراعي

كأب يصطحب ابنته إلى المدرسة في يومها الأول.. وقال لاهثًا من شدة البرد:

- هيا بنا...

كان يرتجف.. ويلهث.. ويسعل حتى شعرت بشفقة حادة تجاهه...

سرنا معًا ببطء شديد عدة خطوات متجهين لداري التي يعرفها جيدًا...

وفجأة.. لمحت ذلك الرجل... بالتأكيد هو هذه المرة...

كان يقف تحت أحد أعمدة الإضاءة ويداه معقودتان على صدره، والظلال تغمر وجهه بنفس الأسلوب الذي رايته على سلم دارنا...

- إنه هو هذه المرة...!

قلتها وتصلب ذراعي وازدادت قبضتي إحكامًا على الحقيبة..

- انتظري هنا...

قالها في حزم، ثم سار في بطء مبالغ فيه نحو ذلك الخيال المتحدي.. سار حتى اقترب منه جدًا.. ثم سمعت صوته الغاضب:

- أنت يا استاذ.. كفاك هذا العبث واللعب بأعصاب الـ...

لماذا كف عن الكلام؟.. لماذا تصلبت نظراته على وجه الغريب؟.. لماذا يترنح؟.. لماذا يمسك صدره بيده؟.. بل - والأدهى - لماذا يسقط على الأرض؟!..

إن شيئًا ما في وجه الغريب قد أصابه بهلع حقيقي.. هلع أودى بقلبه الواهن..، أو

ربما هو نوع من التنويم المغناطيسي.. أو هو فقدان وعي...

المهم - في جميع الظروف - أنني قد فقدت حارسي الوحيد...

يجب أن أهرب..

يجب... ولكن لأين؟..

شرعت أركض وأنا لا أسمع سوى صوت كعبي حذائي على الأسفلت المهشم..، كنت ارتدي معطفًا لهذا لم يضايقني البرد كثيرًا..، ثمة كلاب يستفزها ركضي فتعوي وتفكر في ملاحقتي لكنها - لسبب لا أدريه - تئن في رعب وتهرب هي الأخرى وذيولها بين أفخاذها..

لم أجرؤ على النظر خلفي...

لكني توقفت مرة واحدة وخلعت فردتي الحذاء.. وبغل شديد هشمت كعبيهما لأتمكن من الركض بسهولة أكثر.. فلم يعد هناك وقت للتأنق...

(رفعت).. ليتك هنا لتفسر لي هذا الذي يحدث..

* * *

دخلت إحدى الحواري الجانبية وشرعت أعدو.. وأعدو.. المنزل الذي كتب على جداره بالطباشير رقم (١٢) هو منزل صديقتي (هند).. المهم ألا يكون المدخل مغلقًا.. الحمد لله!.. إنه مفتوح.. المهم - كذلك - ألا أجد ذلك المجهول واقفًا ينتظرني..

لا أدري كيف.. لكنني كنت قد فهمت - تلقائيًا - أن الأمر يتجاوز حدود الماديات وأنه يتعلق بشيء ما.. شيء من وراء الطبيعة، شيء هو أكثر غموضًا من مجرد متسكع يلاحقني...

لكنه لم يكن هنالك...

شرعت أوسع الباب ضربًا في هستيريا...

الدموع تتزاحم على خدي وصوت نشيجي يتعالى...

صوت مزلاج يفتح..، وباب الشقة القديم يئن كاشفًا عن وجه أبيها وقد ارتدى جلباب النوم، وخلفه امرأته تبسمل وتحوقل...

أخذت أردد عبارات مختلطة لم يفهموا منها سوى أن أمي تموت، لكني استجمعت أنفاسي ما بين العبرات وأشرت لأسفل:

- رجل.. من شارعنا.. لم يكف.. البقال..

نظر الأب في حيرة إلى ابنته التي أحاطت كتفي بذراعها وأجلستني على المائدة في حين أحضرت أمها كوبًا من الماء لي..

أخيرًا استعدت قدرتي على الكلام، فشرعت أحكي لهم القصة الكاملة منذ فارقت (رفعت) حتى وصلت لهنا...

- هل هو واقف؟

-ربما.. لا.. لا.. أد.. أدري....

اتجه الأب إلى النافذة وفتحها.. وأطل على الليل البهيم في الخارج..

- هل هو هذا الشخص يا بنيتي؟!..

نهضت في هلع واختلست نظرة إلى الحارة من فوق كتفه.. نعم..

كان هو.. واقفًا معقود اليدين على صدره تحت أحد أعمدة الإضاءة كعادته، إنه يفضل الإضاءة القادمة من أعلى لأنها تخفي وجهه وسط الظلال..

- هو يا عمي.. هو...

أغلق الأب النافذة.. وعالج أزرار الجلباب الذي يرتديه ليخلعه، وهو يغمغم بشيء عن النزول لمواجهة ذلك الوغد ومعرفة ما يريد بالضبط.. وطلب من امرأته أن تناوله (يد الهون) من المطبخ لتكون سلاحًا عفويًا..

إلا أنني تشبثت به في لوعة:

- كلا.. أرجوك.. أنت لم تر ما أصاب البقال حين رآه...

- ولكن...

-أرجوك!.. أنا هنا في مأمن.. فقط دعوني معكم حتى الصباح...
بدا عليه شيء من الارتياح.. فهو - ولا ألومه - لم يكن راغبًا في أن يخوض هذا الموقف..، كما أنه لم يكن يملك جهاز هاتف يطلب به البوليس..
- وأمك؟.. كيف نخبرها؟
قلت وانا ارتجف:
- دعها.. فهي لن تعاني خطرًا سوى القلق، لكنها ستغفر لي كل شيء في الصباح حين تعرف ما حدث...
وهكذا....
قدمت لي أم (هند) بعض سندوتشات الجبن وكوب شاي، ثم أحضرت لي (هند) قميص نوم من قمصانها، وقادتني إلى

حجرة النوم وهي تبدي المرح وتثرثر وتسالني - في خبث - عن (رفعت)..
وعلى الفراش تربعت.. وشرعت تريني ألبوم صور خطبتها..، وتنتقد هذه الفتاة وتلك المرأة، في حين كنت شاردة الذهن تمامًا.. ثعابين القلق تنهش قلبي.. وأنت تفهمين ذلك يا أختاه...
كيف تشعر أمي وماذا تقول في هذه اللحظات إذ تأخرت ابنتها الوحيدة الباقية معها في العودة للدار حتي الثالثة بعد منتصف الليل..؟
مسكين أنت يا (رفعت)!.. ستكون أنت المتهم الأول في قضية تأخري..
ولم أكن أعرف أن أمي لم تضع وقتًا... لقد اتصلت ب (عادل) و(سهام) في

دارهما وشرعت تولول، من ثم أطلق (عادل) عبارات السباب قائلًا إنه ما كان يجب أن يثق بمعتوه مثل (رفعت) هذا..، أما (سهام) فقد قالت إن عينها اليسرى تختلج منذ أيام ثلاثة.. وأن في هذا دليلًا لا يدحض على أنني قد مت أو - على أفضل الاحتمالات - أحتضر في مستشفى ما..، وقد نزل (عادل) يجوب المدينة بسيارته.. فهو لم يكن يعرف عناوين صديقاتي ولا أين يقضى (رفعت) ليلته..، بل أنه استعان بعشرة مخبرين أشداء من مديرية الأمن كي يفتشوا عنى تحت كل حجر في المدينة وفوق كل منضدة تشريح وكل سرير مستشفى...

كل هذا وانا جالسة على الفراش أصغي لثرثرة (هند).!

* * *

استيقظت في الساعة العاشرة من صباح الجمعة...

أصابني الهلع ووثبت من الفراش كالملسوعة لأرتدي ثيابي وأحمل حقيبتي جارية إلى الخارج..

وفي الصالة وجدت الأسرة الصغيرة جالسة على مائدة الطعام تتناول طعام الإفطار.. وقد أشرقت وجوههم بالمودة والانتعاش...

- هلمي يا بنيتي.. اغسلي وجهك ثم تناولي إفطارك...

- لكني تأخرت..
قال الأب وهو يرشف بقايا كوب الشاي ويطالع عناوين الجريدة وقد دلى نظارته على قصبة أنفه:
-لن تخرجي دون إفطار.. أنا سأوصلك لدارك بنفسي..
وهكذا دخلت الحمام وغسلت وجهي أمام المرأة..
يا لتقاطيعي المنهكة وجفوني المنتفخة... لقد كانت أحداث الليلة الماضية عصيبة حقًا.. لا أراكن الله ليلة كهذه يا صديقاتي..
عدت للمائدة وجلست.. وكانت (هند) تهرس لي بعض الفول في طبق.. ثم أضافت بعض الزيت وقالت:
- نمت كثيرًا...

- كلوح من الخشب.. وإنني لأشكركم بشدة..
وشرعت التهم الفول في اشتهاء على حين داعبت أنفي رائحة البخور الزكية قادمة من المطبخ حيث كانت أم (هند) تعده..، ومن بعيد ترامت لأذني أصوات تلاوة القرآن استعدادًا لصلاة الجمعة..
ما أطيب الأسرة المصرية وما أعذبها..!
نظر لي والد (هند) من فوق إطار منظاره متسائلًا:
- هيا بنا؟
- إذا سمحت..
وقبلت (هند) وأمها التي حرصت على تحميلي ألف سلام للحاجة، مع توصية لي بسرعة إتمام الزفاف حتى لا أكون وحيدة

أبدًا مرة أخرى، ثم سرت وراء الأب عائدة لداري...

وفي ضوء النهار بدت لي الحارة مكانًا باسمًا ولطيفًا إلى أقصى حد..

شيء صغير أثار انتباهي..

هو أنه أسفل عمود النور.. عمود النور الذي كان الغريب واقفًا تحته ليلة أمس.. كانت هناك جثة كلب، كلب تقلصت ملامحه كأنما كان يعاني أعتى الآلام لحظة احتضاره... وعلى بعد خطوات تناثرت أربع جثث لأربعة فئران..

- ما الذي قتل هذا الكلب؟...

تساءل الأب وهو يرمق الجثة في حيرة، إلا أن هذا السؤال بدا لي سخيفًا...

سخيفًا إلى حد لا يوصف...

* * *

٦ - خطر ما...!..

حين وصلت لداري وجدت مشهدًا يفوق كل ما توقعت..

فما إن شكرت (سهام) - شقيقتي – أبا (هند) علي توصيله لي، وما إن انغلق الباب علينا حتى تحولت إلى ذئب مسعور، واعتصرت ذراعي بين إصبعيها سائلة إياي عما حدث، وهي تضغط على أسنانها في توحش..، وكانت أمي في أسوأ حال.. على حين جلست جاراتي اللواتي تعرفنهن يا بنات.. أم (شريف) وأم (بلبل) وأم



عمود النور الذى كان الغريب واقفًا تحته ليلة أمس .. كانت هناك جثة كلب ..

(ثناء) - أولئك الشمطاوات - يمصمصن بشفاههن متصعبات...
وبعد ثوان دخل (عادل) ولم يكن ترحيبه بي أقل مودة:
- أين كنت يا (ست هانم)؟!
وبعد ساعتين اندفع (رفعت) من الباب صارخًا في هستيريا:.
- لقد أوصلتها بنفسي وأقسم على هذا..!!
كان عسيرًا بعض الشيء أن أحكي قصة البارحة...
لكني حكيتها وأنا ارتجف...

* * *

ما إن انتهيت حتى ساد الصمت بضع دقائق...

قالت (سهام) في توتر، وهي تربت على كتفي:

- ما رأيكم..؟

قال (عادل) شارد الذهن:

- محاولة اعتداء.. ونحن نقابل العشرات منها يوميًا...

- وما رأيك يا د. (رفعت)..؟

قال (رفعت) في غموض وهو يشعل سيجارة:

- ثمة سؤال واحد يضايقني.. هل الصواب لغويًا أن نتساءل (من) الذي هاجمها أم (ما) الذي هاجمها؟!

- وهل هناك فارق؟

- لغويًا.. فارق شاسع...

صحت في رضا وقد سرني ذكاؤه:

- نعم.. نعم.. أنا نفسي شعرت بشيء غير عادي في كل هذا...

تساءل (عادل) في حيرة وهو يضع ساقًا على ساق:

- ما هو الشيء غير العادي في كل هذا؟

قال (رفعت) وهو يتأمل حلقات الدخان:

- تأمل معي يا (عادل) ما يحدث، ثمة شخص ينتظرها على باب الدار ولا ترى وجهه.. شخص يعرف عنوانها ووقت عودتها.. شخص يهبط درجات السلم بسرعة البرق ودون ضوضاء.. شخص يتبعها عبر الطرقات ولا تعدو الكلاب خلفه بل تفر منه..، وما إن يرىٍ البقال البائس وجهه حتى يخر ساقطًا على

الأرض..، هل تجد أن كل هذا مألوف في سجلاتكم..؟
ثم نظر لي في شيء من الانتصار، واستطرد:
-.. بل أنني قابلته في دار السينما أمس.. وكلما حاولت أن أتبين وجهه لم أجده.. قلت لك ذلك وحسبتني مخبولًا...
كنت أنا شاردة الذهن.. ها هم أولاء جميعًا جالسون هنا من أجلى.. يا لهم من أعزاء**!**.. أعزاء إلى حد لا يصدق.. كلهم باتوا ليلتهم ساهرين وحتى (رفعت) الذي لم يكد يصل للقاهرة حتى عاد منها..**!**.. إنني أحبكم.. أحبكم جميعًا يا ملاعين**!**...
يمكنني الآن أن أترك المشكلة كلها - واترك نفسي - لهم.. ستجد (سهام) الأريبة

ما تقترحه، وستتكفل حكمة (رفعت) وخبرته بإيجاد الجواب، وسيحميني (عادل) الشجاع القوي من كل سوء..
لا تحسدنني يا فتيات.. سأدعو الله أن تنالن سعادتي جميعكن.. كان (عادل) يقول:
- أنت أستاذ في الاستنتاجات الخاطئة يا (رفعت).. وموهبتك في استخلاص نتائج مرعبة من معطيات عادية هي شيء معروف، أنت تذكر المتاهات التي دخلناها معًا مع آكل البشر إياه..
قال (رفعت) في حرج وهو يئد سيجارته:
- قبل أن تظلمني.. سأحكي لك عن شيء قمت به أمس بناء على تكليف رسمي من

مصلحة الآثار، ولكن أرجو أن تتركنا النسوة وحدنا قليلًا...
- ليكن هذا...

* * *

حين فرغت (سهام) من سلق البيض ناولتني براد الشاي الساخن وصينية عليها بعض الأكواب.. وهمست في خبث:
- هو يحبك حقًا...
احمر وجهي كالطماطم.. وهمست:
- لا أدري..
- لقد كان يموت قلقًا عليك.. إن الرجل الذي يترك سماعة الهاتف متدلية ويهرع ليثب في سيارته مسافرًا إلى الإسكندرية بعد ربع ساعة من عودته منها لهو رجل

يحب!.. احترسي يا حمقاء وإلا سقط البراد منك!
واتجهنا إلى الصالة حيث كان الرجلان يستكملان محادثتهما الطويلة، كان (عادل) متوترًا أما (رفعت) فقد بدا عليه مظهر من يدافع عن قضية خاسرة..
- وهكذا تجد أنني في مأزق حقيقي..
- ولماذا (هويدا) بالذات؟.. ما دام يلاحقك أنت...
- لا أدري..، لكنني واثق بأنني المقصود بما حدث لها و...
ثم إنه قطع كلامه حين أحس بوجودي.. فأخبرتهما أننا اعددنا لهما وجبة خفيفة ما دام أحدهما لم يذق الطعام منذ الصباح...

جلسا على المائدة وشرعا يأكلان كالمحرومين، وبعد برهة قال (عادل) في كياسة:

- (هويدا).. ثمة أسباب معينة تجعلني أقرر البقاء معك ووالدتك على الأقل هذا الأسبوع...

- و(سهام)؟...

- ستعود للبيت من أجل الطفل أو يبقيان معنا هنا سيان.. لكني أحبذ الرأي الأول...

- و(رفعت)؟

توقف عن المضغ ورمق (رفعت) بنظرة ذات معنى، وهمس:

- لا مكان له هنا.. سيعود للقاهرة.. وليحرص على ألا يكون وحيدًا...!

لم أفهم حرفًا.. لكن أمعائي تقلصت من مناخ التوتر المنذر بالخطر.. المناخ الذي ينطق به كل حرف من كلمات (عادل)..

❋ ❋ ❋

منتصف الليل...

أغفو في حجرتي المغلقة على حين ينتظر (عادل) في الصالة نصف نائم وقد تمنطق بحزام مسدسه وأراح قدميه على مقعد خشبي أمامه.. وجواره يردد المذياع أغنية لـ (عبد الوهاب)..، أمي تغفو في حجرتها هي الأخرى وقد هدها التعب....

صوت الأغنية يدغدغ أهداب روحي...

"أين من عينيك هاتيك الـ..."

ضوء الصالة الخافت يتسلل من أسفل الباب، وتكتكة الساعة، وصوت أنفاسي المنتظمة وأنا بين النوم واليقظة...

"يا عروس البحر.. يا حلم الخيـ..."

هل هي الفئران؟.. بالتأكيد هي.. صوت شيء خشن يحتك بخشب مصراع النافذة..

"ذهبي الشعر..."

الصوت يتعالى في إصرار غير عادي، أكاد أقسم إنه صوت أصابع تتحسس إطار النافذة...

"شرقي السمات..."

نهضت من الفراش على أطراف أصابعي، وبخفة اقتربت من النافذة، وعلى الضوء الخافت استطعت أن أرى...

"مرح الأعطاف حلو اللفتـ..."

ذلك النصل الحاد يدخل ما بين مصراعي (الشيش) محاولًا أن يرفع المزلاج لأعلى...!

"كلما قلت له خذ..."

حاولت أن أصرخ لكن الصوت احتبس في حلقي، لم أستطع سوى الركض إلى الباب.. الى الصالة وهززت (عادل) لأوقظه بينما صوت الأغنية يتعالى في أذني.

"قال هاتِ..."

وثب (عادل) كالملسوع، وأخرج مسدسه وهرع إلى غرفة النوم خلفي.. وأضاء النور الكهربي، وأمام عيوننا المذعورة كان النصل يواصل محاولة فتح

المزلاج..!..، إن هذا اللص أحمق أو هو لا يخشى النور...

.". خلته ذوب في الكأس عطره..."

أشار بإصبعه إلى فمه ليخرسني، ثم اتجه نحو النافذة.. وبحذر شديد أزاح المزلاج لأعلى، ثم فتحه بحركة مفاجئة درامية..

هل كان هذا بابًا من أبواب الجحيم؟!..

لا أذكر سوى أنني كنت أصرخ في هستيريا..، و(عادل) يجرني بأعنف ما استطاع بعيدًا عن الحجرة..

بينما ذلك الشيء الذي لا يصدق ولا يوصف ينساب في داخل الغرفة مقيتًا لزجًا.. كانت له يدان آدميتان، أما فيما عدا ذلك لا أذكر...

"آه لو كنت معي..."



بينما ذلك الشيء الذى لا يُصدق ولا يُوصف ينساب فى داخل
الغرفة مقيتا لزجا ..

معًا نركض إلى الصالة، نغلق باب حجرتي بأعنف ما يمكن على هذا الشيء حتى لا يخرج لنا.. أصرخ.. أولول.. (عادل) يزأر.. يرتجف...

أمي صحت من نومها وخرجت لترى ما هنالك وهي تفرك عينيها....

- ماذا حدث يا أولاد..؟.. هل جننتما؟...

قال (عادل) من بين أسنانه، وهو يعالج خزانة المسدس:

- كابوس يا حماتي!.. شيء لم أر مثل بشاعته دخل من نافذة غرفة النوم...

- ولم تطلق الرصاص..؟.

- لم أجرؤ.. إن القواعد المادية لا تنطبق عليه.. لم يتسع تفكيري كي...

وهنا سمعنا صوت الاحتكاك إياه...

ذلك الشيء - أو الشخص - يحاول أن يفتح باب غرفة النوم...!

لن يطول الأمر قبل أن ينجح.. وعندئذ...

رنين الهاتف الطويل المتقطع...

جريت لأرد وعيناي لا تفارقان باب غرفة نومي.. سمعت صوت (رفعت) يصرخ:

- (هويدا).. هل علبة سجائري بعد في حقيبتك؟

- هل تمزح يا (رفعت)؟!.. أنت لا تدري ما يحدث هنا...

- أرجوك أن تسمعيني.. تخلصي من العلبة فورًا.. ارميها من النافذة فلا وقت للشرح...
- لكن الحقيبة بما فيها داخل غرفة النوم معه..!
- مع من..؟!
لم أدر كيف أرد فوقفت أرمق باب الغرفة الذي بدأ يتخاذل.. (عادل) متصلب العضلات لا يدري ما يفعل.. أمي تمسك برأسها غير فاهمة أي شيء..
"حلم ليل من ليالي (كليوبترا)"..
الباب يتهاوى..
(رفعت) يردد في السماعة كمن أصابه مس:
- مع من يا (هويدا)؟.. مع من؟!

* * *

الجزء الثالث

الصديق

"نعم... علماء النفس الغربيون يؤمنون بالإيقاع الحيوي.. ويؤمنون أن هناك أشخاصًا خلقوا ليقعوا في المتاعب التي تسببها حماقاتهم..، أما فيما يتعلق بصديقنا

(رفعت إسماعيل) فالأمر يختلف.. إن المتاعب تطارده سواء ارتكب حماقات أو لم يرتكب.. وسواء كان إيقاعه الحيوي في القمة أو الحضيض.."

٧ - المومياء التي حيرتنا..

قال د. (رمزي):

لم أكن أحسب كل هذا ممكن الحدوث.. لكنه حدث..

* * *

بدأ الكابوس في الأيام الأخيرة من شهر ديسمبر عام ١٩٦٦..

لقد وجد بعض رجالنا آنية أصلية لابد أنها تعود للأسرة السادسة، وكان ذلك في مدينة (الأقصر) على ضفة النيل الشرقية....

أنتم تعلمون يا رفاق أن الفراعنة كانوا يدفنون موتاهم في الجهة الغربية من النيل، وكانوا يصفون من مات بصيغة مهذبة هي: رحل غربًا، لهذا لم أتوقع أبدًا أن الحفريات ستجد مدخل مقبرة في ذاك الموضع وبعيدًا جدًا عن (وادي الملوك) الشهير...

لكن هذا حدث..

ومن اللحظة الأولى أدركنا أن هذه المقبرة تختلف في كل شيء عما تعودناه.. النقوش في مدخلها..، وتعويذة التحذير التي تقول:

" إن الذي يكمن الشر في أحشائه سينثر الرعب في قلوب المتطفلين..."

وحتى الدرجات المؤدية لأسفل.. والأختام، كلها كانت من نمط غير مألوف.. بالإضافة لعدد غير عادي من صور (ست) إله الشر عند الفراعنة..، كل شيء كان يحمل طابعًا مقيتًا مشئومًا...

ودون تردد أجمع علماؤنا على أنهم لم يسمعوا قط عن هذا الفرعون الذي سنسميه هاهنا - لغرض السرية - باسم (أخيروم

الأول).. وهو اسم يفتقر للطابع المصري الفرعوني لكنه قريب جدًا من الأصل...

قمنا بنقل المومياء إلى مخزن خاص بمصلحة الآثار..

وفي يوم رأس السنة الميلادية اجتمع خمسة علماء آثار من خيرة رجالنا على وصف التابوت وتصويره، ثم قاموا بفتحه في حضور عدد محدود من المتخصصين...

الواقع أننا بالغنا في تهورنا... لم نحاول أن نتساءل لحظة عن سر امتناع اللصوص عن السطو على هذه المقبرة بالذات.. هل كانوا يعرفون شيئًا لا نعرفه؟..

نعم لا أنكر أنه كانت هناك آثار أقدام.. لكنها آثار ملهوفة مبتورة فوق الغبار كأن

من دخلوا أسرعوا بالفرار لسبب لا ندريه...

ولا أنكر أنه كانت هناك مومياء أحدهم راقدة على جانبها وعلى وجهها ارتسمت أعتى امارات الهلع كأنها رأت الشيطان ذاته..، لكننا فسرنا الأمور بالأسلوب الذي راق لنا، وقلنا إن جو المقبرة الخالي من الرطوبة ساعد على حفظ المومياء كل هذه القرون...

دعك من أن العثور على مومياء لص غير محنطة بعد مالا يقل عن عشرين قرنًا بدا لنا مثيرًا ومشوقًا...

وهكذا يا رفاق فتحنا التابوت...

وبحرص أزال علماؤنا الرقائق الذهبية الخارجية، ولم يغفلوا عن ذلك التحذير

الرهيب الغريب الذي يطاردهم في كل لحظة...

كنا قد بدأنا نستنتج أن هذا الفرعون كان منبوذًا من الكهنة لسبب أو لآخر، أو لعلهم وجدوا فرصتهم الوحيدة للانتقام منه بعد وفاته.. بدأنا كذلك ندرك أنه كان يمارس السحر على نطاق واسع... وثمة احتمال لا بأس به أنه هو من حمى مقبرته بنفسه... المهم انهم كتبوا تقريرًا كاملًا عن حالة التابوت، وتصورهم لموقع ذلك الفرعون في التاريخ القديم لمصر، وارفقوا بذلك عددًا من الصور...

وكنا على وشك إزالة الأكفان لفحص الجسد نفسه، حين توالت الوفيات كأنها مستعمرة ذباب رش عليها مبيد حشري

جيد.. أو حوض أسماك زينة سكبت فيه زجاجة (كيروسين).. أو أي تشبيه آخر يروق لكم...

خمس وفيات لخمسة علماء في أسبوع واحد...

لا يمكن أن يكون الأمر صدفة..

* * *

أوفدت وزارة الداخلية وفدًا عالي المستوى من كبار خبراء البحث الجنائي وعلى رأسهم اللواء (مراد شريف) ليحقق في أمر هذه الوفيات، وكان الغالب على الظن أن هناك مؤامرة معنية من دولة أجنبية بهدف إرهاب علمائنا أو منعهم من الثرثرة (كانت ذكرى القنابل الإسرائيلية

المرسلة لعلماء الصواريخ الألمان ماثلة في أذهاننا)3..

إلا أن الخيوط لم تتجمع قط في نقطة واحدة..

لم يجرؤ أحد على التفوه بلفظة (لعنة الفراعنة)...

لكننا كنا واثقين تمامًا أن هذا هو التفسير الوحيد...

قلت للواء (مراد) في أثناء زيارة لمكتبه:

- هل وجدتم خيطًا..؟

ابتسم في إرهاق.. وقال:

- ماذا تريد؟.. حين يموت رجل في غرفة أغلق بابها ونافذتها من الداخل دون دليل على كونه انتحر، عندئذ يخرج الأمر من أيدينا..!

- هل تعني؟..
-لا أعني سوى ما قلته.... ثم إنه فتح ملفًا أمامه.. وقال وهو يرتدي منظاره:
- هو ذا تقرير الطب الشرعي.. كما ترى لا آثار عنف.. لا جروح... لا كدمات.. فقط تعبير الهلع المرتسم على الوجه.. و...
- وماذا؟...
ابتسم في قسوة ورمقني من فوق إطار منظاره العلوي:
-.. لا أثر للدماء في عروقهم...!
- ولا جلطة؟!.
- ولا جلطة واحدة.. إنني أعتقد أن الأمر يتعلق بمصاص دماء أكثر منه بأي مجرم عادي نعرفه...
شعرت بالقشعريرة تغزو مسام جلدي..

ثمة شيء واحد يربط بين الضحايا الخمس..، وهذا يعني أن ما وجدناه لم يكن مجرد قبر فرعون مجهول..
بل هو..

* * *

كنت جالسًا في داري شارد الذهن أفكر فيما عساي فاعله.. لن أستطيع ألا أستمر لأن هذا عملي.. ولن أستطيع أن أتمادى في خطر داهم كهذا الذي أنا بصدده لأنها حياتي..
إن معنى هذا الذي يحدث.. أن كل من يتعامل مع المومياء يخطو نحو كارثة..، لكني لا أملك الصلاحيات التي أمنع بها المزيد من البحث العلمي.. ولا السلطة

التي تخولني إعادة المومياء لقبرها وإغلاقه...
أمسكت برزمة من المجلات الإنجليزية أتصفحها على سبيل تزجية الوقت إلى أن تنتهي زوجتي من إعداد العشاء، وهي بالمناسبة مدرسة تحاليل طبية في كلية الطب جامعة (...)...
- هل رأيت هذه المجلة؟.. انظر الصفحة العاشرة..
قالتها وهي ترص الملاعق في الأطباق وعلى شفتيها بسمة انتصار..
أمسكت المجلة المذكورة وقلبت صفحاتها حتي وصلت الصفحة العاشرة، وكانت بها صورة ملونة كبيرة لرجلين أحدهما أشقر

الشعر والآخر أسمر اللون أصلع الرأس يبتسم في بلاهة..
وكان التعليق على الصورة يقول ببنط أحمر كبير: مصري وأمريكي يقهران (الزومبي)...
قالت زوجتي في حماس:
- اسمه (رفعت إسماعيل).. زميل عمل لي في نفس الجامعة...
- وما تخصصه؟
- أمراض الدم..
شرعت أقرأ المقال في اهتمام، وكان يتحدث عن مغامرين واجها أسطورة (الزومبي) في (جامايكا) حيث أثبتا أنها خرافة، وتمكنا من القضاء على مدير مزرعة (جذام) أساء استغلال مرضاه، أما

الأمريكي فمهندس حاسبات آلية.. وأما المصري فطبيب يزعم أنه وجد مومياء (دراكيولا) وشاهد وحش (لوخ نس) الأسكتلندي الخرافي... سألت زوجتي في شيء من التوجس:

- هل هو معتوه؟

- ربما.. لكنه صادق ومخلص وعلى قدر لا باس به من الذكاء...

- وهل حقًا عاش هذه التجارب..؟

- يقال ذلك...

- ومن قال ذلك؟

- هو...!

تأملت ملامحه.. وشعرت أنني - ربما - لن أخطئ كثيرًا إذا ما وثقت به..، ومن يدري؟.. ربما هو أكثر ذكاء مما يوحي به

مظهره..، ثم هو طبيب متخصص في أمراض الدم ويمكنه أن يثبت أو ينفى وجود داء في دم العلماء الخمسة،.. وهو ذو خبرة في عالم الرعب، وأكاد أجزم أن لديه ما يقول في مأزقنا هذا..

لقد رتب القدر أن أرى صورته.. ولن أدع هذه الفرصة تضيع...

- هل لديك رقم هاتفه؟
- إن عنوانه موجود لدينا...
- إذن سيكون هو رجلنا...

* * *

وهكذا أرسل اللواء (مراد) إحدى سياراته لتحضر لنا هذا الرجل هاوي الأشباح..، ومعها استدعاء رسمي له طلبًا لرأيه

العلمي كتبناه بصيغة جافة تثير الرعب في قلبه...

وكان انطباعي الأول عنه هو أنه مهذب وعلى قدر من الرقي.. إلا أنه عصبي وحساس إلى حد مرضي..، وكان يدخن كمدخنة قاطرة وأنا لا أطيق المدخنين...

شرعت أشرح له بكياسة ما هنالك، لكنه كان قادرًا على الاستنتاج.. مع (رفعت إسماعيل) تشعر دائمًا بأن الحياة لعبة كرة قدم شاهدتها مرارًا.. او دعابة سمعتها من قبل، وهو لا يملك الصبر ولا الكياسة كي ينتظر حتى تقول دعابتك كاملة، بل يصرخ في وجهك أنه سمعها بمجرد أن تفتح فاك..

وداثمًا ما يحاول إشعارك أنك لن تثير دهشته أبدًا...

المهم أنني عرفته بزميلنا الفاضل الأستاذ (محمد رجب) عالم المصريات العتيد الذي شرع يعطيه خلفية أكثر تفصيلًا عن الموقف..

ولقد حاول هذا الزميل أن يخفي حقيقة الجثث الخالية من الدماء عن د. (رفعت) لكني أصررت على أن يكشف له الأوراق كاملة ليعرف ما ينتظره...

أما حين بدأ اللواء (مراد) يشرح له ما تعرفه الشرطة عن الحادث بدا واضحًا لنا أنه ركز تفكيره حول لعنة الفراعنة، تلك اللعنة التي أدركنا من بعض كلماته ومن توتره الواضح أنه يعرف عنها الكثير...

ثم جاء السؤال الأساسي:
- هل ستفحص المومياء..؟
بدا عليه التفكير.. لكني كنت أعرف أنه سيقبل...
إن د. (رفعت) من هؤلاء الأشخاص الذين لا يعرفون كيف يقولون كلمة لا.. ثم إن رغبته في الظهور بمظهر المتحضر الذي لا يخاف الخرافات الكفيلة بأن تورده موارد الهلاك...
ولم أكن مخطئًا...

* * *

وفي اليوم الحادي والعشرين من يناير...
كان د. (رفعت إسماعيل) يتأهب للقيام بفحص المومياء، ولم نجد من يقبل

معاونته سوى الأستاذ (محمد رجب) الذي حاول أن يكون متعقلًا جريئًا..

وكان هناك مصور شاب قبل أن يصور العملية بكاميرا تصوير سينمائي مقياس ١٦ مم على ضوء الكشافات...

ولم يكن أحدهم يتوقع أن أبواب الجحيم ستنفتح..

ولن نستطيع غلقها...

* * *

٨ - عودة الرعب..

ارتدى (رفعت) ثيابًا سخيفة لكنها فعالة.. فوضع على أنفه قناعًا واقيًا من الغازات، وعلى يديه قفازين..، ثم أحضر جهاز شفط غبار وعداد (جايجر) لقياس الإشعاعات التي يحتمل وجودها..

لقد كان حذرًا – والحق يقال - لكنني أومن أن التفسير المادي العقلاني لهذه الأحداث غير وارد.. وهو أشبه بمحاولة منع الحسد باستعمال مرشح للأشعة تحت الحمراء..!..، كان يحاول استبعاد كل احتمال آخر بحيث إذا أصابه مكروه غدا جليًا لنا أن لعنة الفراعنة هي السبب، وهو أسلوب علمي صحيح في التجريب يقوم على تثبيت كل العوامل عدا العامل المراد اختباره..

إن هذا الرجل يملك عقلًا منتظمًا لكني لا أحبه كثيرًا..
وهذا ذنبي لا ذنبه..

* * *

بعد دقائق من الانتظار المرعب سمعنا صوت جسد يسقط داخل القاعة ولم تكن عندنا تفسيرات عديدة، كل ما هنالك أننا نسينا حذرنا واندفعنا لداخل القاعة لنجد (محمد رجب) ممددًا على الأرض في حين كان د. (رفعت) - ذلك المخبول - يواصل وضع عيناته في حقيبته بلا مبالاة حقيقية.. بل أنه بدا مغتاظًا من الموقف كله، وقال إن كل ما هناك مجرد حساسية مفرطة من

(محمد رجب).. وغادر المكان ونحن معه...



واندفعنا لداخل القاعة لنجد (محمد رجب) ممددًا على الأرض فى

حين كان د. (رفعت) !!

في مكتبي جاءني د. (رفعت) وأخبرني وهو يرشف القهوة أن المومياء بلا أحشاء...

أليس هذا عجيبًا؟.. مومياء من الأسرة السادسة بلا أحشاء!.. ولم نكن قد وجدنا أية أوعية (كانوبية) في المقبرة وهذا يعني أنه لا تفسير هنالك..

كان التساؤل يدوى في دهاليز عقلي، لكن د.(رفعت) - غير المتخصص - لم يعلق أهمية كبيرة على الموضوع واعتبره نوعًا من التحذلق...

أمسكت بسماعة الهاتف وطلبت د. (شاكر) في معامل وزارة الصحة كي

ينتظر العينات التي سنرسلها له من أجل فحصها بدقة وإجراء قائمة طويلة من البحوث التي طلبها د. (رفعت إسماعيل)...

وكان هذا الأخير يدخن بإفراط غير مبال بفداحة هذه الجراحة التي مارسها منذ دقائق..، لهذا حاولت أن أفزعه.. حدثته عن الأيام السوداء التي تنتظره وعن الرعب الذي يهون الموت معه...

لكنه لم ينفعل.. وانصرف لأنه ذاهب ليلقى خطيبته...

ما هي نفسية الرجل الذي يبدأ يومه باستفزاز شيطان فرعوني وينهيه بجلسة رومانسية مع خطيبته؟!.. إما أنه شجاع جدًا.. أو أحمق جدًا..

* * *

عدت لداري وجلست أشاهد التليفزيون مع امرأتي..

كنت أرمق الشاشة بنصف عين وأنا أقلب صفحات بعض مراجع المصريات علّني أجد ما ينير لي الطريق ولو قليلًا..

غريب هو شغف الفراعنة بالملينات.. واستعمال الحقن الشرجية، تلك التي تعلموها من طائر (أبو محجن) الذي يمارس هذه العملية بانتظام مستعملًا منقاره، كانوا يؤمنون أن منبع الأمراض والأرواح الشريرة هو الأحشاء، وأن عملية التخلص من الفضلات هي نوع من التطهر.. و...

"إن الذي يكمن الشر في أحشائه...".
هذه هي العبارة المريعة التي وجدناها في القبر.. وهي ليست استعارة أدبية إذن، بل هي الحقيقة..، ولهذا انتزعوا أحشاء ذلك الفرعون بعيدًا عن مومياءه لأنهم ظنوا - أو أدركوا - أن الشر الذي حرك حياته كلها كان كامنًا في أحشائه...
ولهذا لم نجد أية أوعية (كانوبية) في المقبرة لأنهم دفنوا الأحشاء بعيدًا في الصحراء أو أحرقوها أو رموها للتماسيح..، كانوا يمقتون الفرعون لكنهم لم يجرؤوا على التخلص من جثته ؛ لذا دفنوه كأجداده بطريقة محترمة.. فقط غطوا الشيء الوحيد الذي يحميهم منه ومن شره...

وإنني لأجسر على القول إنهم كانوا مخطئين...

فهذا الاحتياط لم يمنعه من قتل اللص والعلماء الخمسة..

لقد كان الفراعنة حريصين على حماية موتاهم، لكنهم كانوا يفضلون طرقًا أخرى غير الأساليب الشنيعة التي استخدمها ذلك الشرير...

كنت غارقًا في هذه الخواطر حين دق جرس الهاتف فنهضت زوجتي لترد، ثم عادت إلى حاملة بعض ثيابي لتنظفها بالفرشاة، وقالت وهي تجلس:

- يريدونك... مكالمة لك..

نهضت لأردّ متوقعًا مصيبة ما.. لكن كان هذا هو صوت أحد مساعدي يبشرني

بشيء جديد:
- وجدنا أوعيته (الكانوبية)**!** وهي قادمة الآن من (الأقصر)...
- أوعية من؟
- (أخيروم) طبعًا...
شعرت بالشعر ينتصب على مرفقي.. والثلج يتكاثف أسفل عمود الفقري..
- كـ.. كيف؟.
- قبر صغير جدًا جوار القبر الأصلي، وكان يحوي وعاءين عليهما نقوش عديدة وصور لـ (ست) وتحذيرات لا تنتهي ولعنات تنهال فوق رؤوسنا..
- وهل فتحتم الوعاءين؟
- لسنا من هواة هذه الأشياء...

- إذن لا تفتحوهما.. ممنوع.. تأكد من سلامتهما وبعدهما عن الشروخ...

- لك هذا.. ولكن لماذا؟

- هي قصة طويلة.. فقط افعل ما أقول..!..

ثم إنني وضعت السماعة وعدت لزوجتي طالبًا منها إعداد ثياب للخروج، حيث أنني قررت الذهاب فورًا لرؤية هذين الوعاءين..، قالت وهي تنظف سترة البدلة ملتقطة شيئًا ما بين إبهامها والسبابة:

- هو ذا الدليل على أن لك زوجة ثانية دون علمي..!

- حقًا؟...

-.. وهي تعمل في مصنع سكر...!.

ووضعت ذلك الشيء في كفي.. مجرد بللورة صغيرة جدًا كرقائق الثلج كانت عالقة بقماش البدلة الوبري، وكان هناك الكثير منها.. لا أذكر طبعًا اين وكيف التصقت هذه الأشياء بي، لكنه لم يحدث - حتمًا – في مصنع سكر...

- ليكن.. والآن أعدى ثيابي لأني ذاهب للقاء زوجتي الثالثة التي تعمل في مدبغة جلود...

شرعت تساعدني في ارتداء بدلتي وتربط لي ربطة عنقي..، ثم طلبت مني ألا أتأخر كثيرًا...

- ولماذا؟..

ابتسمت في قسوة وقد لذ لها أنني وقعت في الشرك:

- لأن الليلة عيد زواجنا...!

❋ ❋ ❋

- وهل ستفتحه الان..؟

قالها مساعدي وهو يتأمل أحد الوعاءين في شغف..

كأن الأحمق يتحدث عن جرة مليئة بالشوكولاتة..، لم أرد عليه برد لاذعٍ لأني كنت مشغولًا في تأمل النقوش باحثًا عن الرمز إياه..، نعم.. ها هو ذا من جديد: الذي يكمن الشر في أحشائه سيفعل بكم كذا وكذا..

إن كهنة (آمون) والحق يقال لم يتركوا فرصة لكي يزعم أحدنا أنه لم يقرأ التحذير.. لقد أدوا واجبهم على خير

صورة، ومن يتجاهل التحذيرات بعد هذا إنما هو يفعل ذلك على مسئوليته الخاصة...

- هل نفتحها الآن؟

كرر السؤال في إلحاح، فهززت رأسي:

- ربما كان من الحكمة أن ننتظر رأى ذلك الطبيب هاوي الأشباح...

- لكنه مجرد مدع ولا يفقه شيئًا في التاريخ الفرعوني..

قالها في اشمئزاز... فرددت دون كثير اقتناع بما أقول:.

- ليس سيئًا إلى هذا الحد.. ثم إنه لا يعبأ كثيرًا بالخوف من هذه الأشياء..

- لأنه لا يعرف ما نعرفه...

نظرت له في اهتمام.. ورددت عبارته مفكرًا:

- نعم.. هو لا يعرف ما نعرفه...

* * *

ولكن ما الذي نعرفه نحن؟..

ها هي ذي الشمعة يترقرق لهبها مع أنفاسنا حين جلست أنا وزوجتي أمام التورتة الصغيرة التي أعدتها لحفلنا المتواضع...

عامنا العاشر.. دون أطفال ودون أحداث هامة، لكننا سعيدان.. ولم تزل شمعة الحب مشتعلة، صحيح أنها لم تعد ذلك البركان الملتهب القديم، لكنها غدت شعلة هادئة منتظمة تمنحنا الانتعاش والدفء....

في رقة همست حبيبتي الصغيرة (برغم أنها اليوم في الأربعين من العمر):
- ألم تمليني بعد؟...
- حين تمل الزهور زيارة الربيع.. سأملك أنا..
- لم أمنحك أطفالًا...
- الشمس لا تنجب شموسًا...
- لم أ........
رررررررن.. اللعنة!.. جرس الهاتف يدوي ناخرًا في أطراف أعصابي، هرعت لأرد متأكدًا – هذه المرة - أن في الأمر كارثة...
- لقد مات (محمد رجب)!!
لم أدر للحظة ما أقول وما أفعل، ثم ابتلعت ريقي:

- من يتكلم..؟
- يا له من سؤال..! اللواء (مراد) طبعًا...
- ومن مات؟
- (محمد رجب).. منذ ساعتين..!
ثم إنه شرع يحكي لي القصة الكاملة، وهي - بالطبع - تتلخص في أن امرأته غادرت الدار مع أطفاله للنزهة.. وتقول إنه كان بصحة جيدة.. لم يعان من إرهاق، ولم يطلب كوب ماء كعادة المتوفين، بل تركته يقهقه ضاحكًا أمام التليفزيون يشاهد فيلمًا لـ (إسماعيل ياسين)..، وحين عادت كان جالسًا في نفس المقعد ونفس الجلسة يحدق باهتمام في حوار ممل عن (اقتصاد

(زامبيا) في الستينات)..، الأمر الذي أثار ريبتها..

وحين تفحصت حالته بدقة أدركت أنه لم يعد في عالمنا..

ومن السخف أن نفترض أنه مات من الملل أو من شدة مقته لـ (زامبيا)..

لقد تحرك الفرعون للمرة الثانية، ولكن بسرعة غير عادية.. سرعة لم نتوقعها أبدًا...

لقد كان هذا الفتى بيننا صباح اليوم يثرثر عن (أخيروم)، ويعاون د. (رفعت) في فحص المومياء..، والكارثة أن هذا الأخير سيؤكد لي أن إغماء (محمد رجب) لم يكن نذيرًا بوفاته.. وسيحدثني عن العصب الحائر ويرطن بعدة مصطلحات لاتينية لا

افهم منها شيئًا..، ولن أجرؤ وقتها على اتهامه بالافتقار للبراعة...

ولكن..!.... بمناسبة (رفعت)...

هل هو على ما يرام؟.. أنا أعرف أنه يعيش وحيدًا وهذا يعني أنه صيد سهل، ثم هو المرشح رقم واحد في قائمة المطرودين من عالمنا..، ادرت القرص كالمعتوهين وانتظرت، فلم اسمع سوى صوت رنين الجرس يدوي في شقته الخالية..

نسيت أنه مع خطيبته التي لم أكن أعرف أنها تعيش في الإسكندرية.. لهذا واصلت طلب الرقم.. التاسعة.. العاشرة.. الحادية عشرة ليلًا..

وهنا تذكرت... هناك شخص ثالث يتصدر القائمة..، صحيح أنه لم يقلق راحة الفرعون لكن من أدراني أن (أخيروم) عادل إلى هذا الحد؟..

طلبت رقم (نادر) وانتظرت في قلق بضع ثوان حتى سمعت صوته المبحوح يرد.. قلت في هلع:

- (نادر).. لقد هلك الأستاذ (رجب).. لا تبق وحيدًا.. أرجوك ألا تبق وحيدًا...

قال في هلع يفوق هلعي بمراحل:

- د. (رمزي).. هناك أشياء لا أفهمها!

- نعم. نعم.. كل هذا غامض..

- أنا أتحدث عن الفيلم.. الفيلم الذي قمت بتصويره..

- هل فسد؟..

- كلا.. لكنه أظهر أشياء غريبة..
وارتجف صوته:
- أشياء غريبة جدًا...

* * *

٩ - يجب أن نتحرك..

- سأرى هذه الصور غدًا يا (نادر).. أما الآن فلا تنس نصائحي...
وعدت إلى زوجتي وكانت قد غرقت في نعاس عميق بعد أن فسدت الأمسية تمامًا.. لقد تعكر مزاجنا لعدة أجيال...

سأعاود طلب د. (رفعت) في ضوء النهار.. أما الآن فلأنم...

ذكروني أن أشترى بعض سم الفئران غدًا لأن صوت مخالبها يدوي عابثًا في مصراع النافذة الخشبي...

فئران عملاقة كما هو واضح.. سأعني بأمرها في الصباح، أما الآن فأنا منهك.. منهك...

*** * * ***

في الصباح وحوالى الساعة العاشرة استجاب د. (رفعت) لمحاولاتي المتكررة على الهاتف.. أخبرته بما حدث أمس في كياسة.. ونصحته نصيحتي لـ (نادر) إلا أنه قال في كبرياء:

- إن الحذر لا يمنع القدر....

ولم يسترسل في الحديث.. لكني لا ألومه كثيرًا.. وأفهم - إلى حد ما- ما يشعر به.... أن يتهددك خطر لا يجدي معه إبلاغ البوليس ولا امتلاك، سلاح ولا تربية كلب، ولا تحصين النوافذ.. أليس هذا مريعًا؟!

بمناسبة النوافذ.. نسيتم أن تذكروني بفحص مصراع النافذة الذي أرجو ألا تكون الفئران قد التهمت منه جزءًا...

كانت غرفة النوم تطل على شرفة تشترك مع غرفة أخرى تفتح عليها بباب، وكانت الشرفة مرصعة بالبصل معلقًا على عدة مسامير، كأي بيت مصري يحترم نفسه.. كما كانت هناك جرة أو جرتان مليئتان

بالعسل الذي أرسله لي أقاربي في الصعيد...
لهذا بدا غريبًا أن تهاجم الفئران نافذة يحيطها البصل، والمعروف أنها تنفر من رائحة هذا الأخير... بل إن...
عسل وبصل..!.. أين يجتمع هذان العنصران؟..
في شرفتي بالطبع.. و... أين؟...
وهنا تبادر الجواب إلى ذهني محدثًا صدمة شبه كهربية:
"اخرج يامن تأتي في الظلام وتدخل خلسة.."
هكذا كانوا يعالجون الطفل ويحمونه ناسبين هذه التعويذة إلى (إيزيس).

"لقد حصنته منك بالبصل الذي يؤذيك، وبالشهد الذي هو حلو المذاق في فم الأحياء، ومر في فم الأموات".
هذا هو الحل...
لم تكن الفئران هي التي تعابث نافذتي...
بل شيء آخر.. شيء ينفر من البصل والعسل.. شيء تحدث عنه الفراعنة وحصنوا أطفالهم منه...
هذا الشيء حاول اقتحام غرفتي...
وحماني البصل والشهد منه...
وارتجفت...
إذن أنا قد تبوأت موضعي في القائمة.. أنا الذي لم ألمس شيئًا بيدي ولم أظهر في (الصورة) قط.. ولكن لماذا؟...

* * *

في دار (نادر) جلسنا نشاهد الفيلم الذي قام بتصويره لـ د. (رفعت) والمرحوم (محمد رجب) إبان فحص المومياء..

كانت المشاهد تتتابع و(نادر) يشرح لي فحوى كل لقطة لأن الإضاءة لم تكن كافية وهو لم يكن معتادًا على استعمال الكاميرا المحمولة باليد لهذا كانت يده ترتجف.. ترتجف حتى كادت الصورة تصيبني بالعمى..

- يكفي هذا يا (نادر)..

- صبرًا.. ها هو ذا يفك طبقات الكفن..

وهنا أصبت بالذهول...

عشرات الشموس الصغيرة تضيء على الشاشة وتتناثر هنا وهناك، ثم د. (رفعت) يمسك بعض هذه الشموس ويضعها في وريقة..، (رجب) يتناول بعضها ويفركها بين أنامله.. ثم يتحدثان.. ويسقط (محمد رجب) فاقد الوعي على حين ندخل نحن..، المشاهد تتأرجح.. ثم يسود الظلام الشاشة.. وينتهي الفيلم.. صوت هدير المحرك فقط..

- ما هي هذه الأجسام المضيئة؟.

سألت (نادر) في دهشة.. فقال وهو يعيد الفيلم لعلبته:

- بللورات دقيقة جدًا وجداها ولم يعرفا كنهها.. العجيب أنها كانت خامدة تمامًا في عالم الواقع.. أما بعد التصوير..

- لا أفهم...
- إنها مشعة.. مشعة بجسيمات خاصة تؤثر في الفيلم الحساس ولا تؤثر في عداد (جايجر)...
- وهل هي تشبه بللورات السكر إلى حد كبير؟
- نوعًا.. لكن ما هي؟.. إنني لم أر شيئًا كهذا من زمن...
- ولا أنا.. لكننا دخلنا وحاولنا مساعدة الأستاذ المغشي عليه وبالتالي التصقت هذه البللورات - كحبوب اللقاح - بثيابنا، ولابد أن (رفعت) قد نال نصيبه منها...
قال (نادر) في ثقة:
- لم يلمسها.. لكنه جمع بعضها في وريقة..

- وأين هي؟
- دسها في علبة سجائره...!
- وأنت؟...
- لقد كنت بعيدًا طيلة الوقت..
- لقد فهمت....

❋ ❋ ❋

لقد استخدم (أخيروم) أسلوبًا معقدًا كأسلوب البنوك في التعرف على اللصوص عن طريق مادة ملونة لا يمكن إزالتها توضع في بعض أوراق العملة التي يسرقها هؤلاء , إن من يفتح المقبرة يلوث نفسه بهذه البلورات الدقيقة المشعة.. وبالتالي يصير هدفًا واضحًا محددًا.. لمن؟.. لحارس المقبرة الشيطاني طبعًا...

يجب إنذار (رفعت) فالله وحده يعلم أين وضع علبة سجائره.. أما مشكلتي أنا فهي أكثر تعقيدًا...

لقد وجدت زوجتي البللورات على بدلتي ونظفتها بالفرشاة وتبعثرت على السجادة وفي كل مكان.. وهذا يعني أنه من المستحيل أن أتخلص من مطاردة الشيطان... يجب أن أغادر شقتي...

على كل حال وكخطوة أولى سأخبر (رفعت)...

أدرت قرص الهاتف عدة مرات دون جدوى..

إن هذا الرجل لا يدخل داره إلا ليغادرها...

ظللت أحاول مرارًا وزوجتي ترمقني بنظرات خرساء.. ثم إنها تأكدت من خبالي حين أمسكت بذراعها لأخذها لبيت أخيها.. قالت وهي تصعد في درجات السلم:

- سيظن أنك طردتني....

- إن زوجة مطرودة لهي أحسن حالًا من زوجة ميتة!.

- لا افهم...

- ومن يفهم؟..

ثم إنني قدت سيارتي إلى مكتبي.. كانت الساعة تدنو من الحادية عشرة مساء حين دلفت للداخل يتبعني الخفير مذهولًا، وجلست على المكتب وطلبت مسئولًا هامًا في مصلحة الآثار.. وحكيت له القصة

كاملة ولا داعي لأن أقول إنه اعتبرني مخرفًا...

- وماذا تريد؟..

- التخلص من الأوعية الكانوبية وإعادة دفن المومياء..

- وهل هذا كاف؟

- إنه الحل الوحيد الذي أعرفه...

- دعني أدرس الأمر.. إنه الجمعة كما تعلم و..

- لم يكن الجمعة يوم إجازة عند الفراعنة.. ولن يجد حارس المومياء ما يمنعه من قتلنا جميعًا في يوم جمعة...

- إذن دعني أفكر ساعتين...

وضعت السماعة وشرعت أتأمل أظفاري.. ثم بدأت أطلب رقم د.

(رفعت).. وفي هذه المرة رد على الهاتف، وعرفت أنه كان في (الإسكندرية) - مرة أخرى في يوم واحد؟! - فطلبت منه أن يأتي لمكتبي على الفور...

- ولماذا؟.

- ليس من أجل لعب الشطرنج طبعًا.. الأمر خطير...

❋ ❋ ❋

وحين وصل د. (رفعت) برائحة سجائره المقيتة، جلسنا نحو ساعة أو أكثر نتبادل الخبرات...

بدأت أجزاء الصورة تتجمع.. وكانت تمثل (أخيروم) أحمر العينين مكشرًا عن أنيابه مصممًا على القضاء على خصومه..

فهم (رفعت) ذلك السر الذي حيره ليلة أمس في لقد كان هناك شيء ما يراقبه، وهذا الشيء لم يكن وهمًا... والذي أثار دهشتي من (رفعت) هو أنه لم يكن يؤمن بالأساطير، بل هو يرى في كل أسطورة أساسًا علميًا يفسر كل شيء.. فالقدماء كانوا يظنون البرق مخالب شيطان ثم اتضح أنه تفريغ شحنات كهربية، القدماء تحدثوا عن مسوخ الذئاب غير عالمين أنه داء (البروفيريا)..

لكن (رفعت) اعترف بصدق بعض الأساطير.. كوحش (لوخ نس) و(العساس) ولربما هذه الأسطورة التي نحن بصددها...

وكان له مقياس لا يحيد عنه.. كل ما يتعارض مع الدين أولًا والعلم ثانيًا هو خرافة..، ولما كان العلم جنينًا حديث الولادة فإن ما يتعارض مع العلم ويقره الدين - كالحسد والسحر الأسود مثلًا - هو احتمال موجود وسيجد له العلم مقياسًا يومًا ما حين تتطور أدواته أكثر...

لهذا - ولأن الأمر في حالتنا هذه يتعلق بالسحر الأسود - كان (رفعت) على استعداد لمناقشته وتجريبه والاقتناع به إذا لم يجد سبيلًا آخر لتفسيره...

في حين كانت أساطير مثل (دراكيولا) و(الزومبي) و(ميدوسا) لا تجد منه سوى الرفض لأنها تتعارض مع الدين بشكل صريح.

إن تفكيره ممنطق وأعتقد أنني كنت سأحب هذا الرجل لو كان أقل قبحًا وسخرية وإفراطًا في التدخين... ما علينا...

مددت له يدى متسائلًا:

- هل الوريقة معك...؟

- أية وريقة؟.

- التي وضعت فيها البللورات.. الأثر الذي اقتفاه الحارس...

- بالطبع.. وضعتها في علبة السجائر...

- وأين هي؟..

بدت عليه علامات الحيرة..

شرع يتحسس جيوبه.. ستكون كارثة لو كان قد رمى العلبة في القمامة كما يحدث دائمًا.. أنا واثق أنه فعل ذلك...

ثم إنه قطب جبينه ومسح العرق من على منظاره.

- لحظة.. كانت معي أمس في (الكافيتريا).. و....

ثم داعب شفته السفلى في شرود:

- نعم.. نعم.. تذكرت.. أخذتها (هويدا) محاولة منعي من التدخين..

- يا للهول!

ونهض في توتر، وقد بدت عليه علامات الفهم..

- فهمت!.. لهذا كانت مغامرتها الشنيعة مع ذلك الشبح الذي طاردها أمس.. لقد كانت البائسة تحمل حكم إعدامها في حقيبة يدها ولا تعرف!!

أشرت إلى الهاتف وقلت بخطورة:

- إذن اطلبها فورًا...
بالطبع لن أصف لكم محاولاتنا الخرقاء للاتصال بالإسكندرية... عشرات المحاولات الفاشلة حتى سمعنا ذلك الرنين الطويل.. وسمعنا صوت سماعة ترفع.. فصرخ (رفعت) في هستيريا:
- (هويدا).. هل علبة سجائري بعد في حقيبتك...؟
ردت بصوت صارخ قائلة كلمات لم افهمها... من ثم صرخ:
- أرجوك أن تسمعيني.. تخلصي من العلبة فورًا.. ارميها من النافذة فلا وقت للشرح..
قالت شيئًا ما جعل وجهه يكفهر..، وتساءل في حيرة:

- مع من؟!..
لم يتلق ردًا فعاد يكرر كالملسوع:
- مع من يا (هويدا)؟.. مع من...؟!
اقتربت منه في فضول متسائلًا:
- ماذا هنالك؟..
نظر لي بعينين زائغتين لا تريان.. وهمس:
- إنه هناك.. في غرفتها!
وثبت كالملسوع إلى السماعة والتقطتها، وصرخت:
- اسمعيني يا آنسة.. هه؟.. أريد مدة أخرى بالطبع عليك اللعنة!.. كلا.. ليس هذا الكلام لك بل لعامل (السنترال)..!.. اسمعيني.. أحضري عسلًا.. وبعض البصل من المطبخ.. أنا لست مجنونًا..

أسرعي..!

يبدو أن صياحي أعاد لها انعكاساتها العصبية.. وسمعتها تجري.. وسمعت صوتًا غريبًا كأنه قفل باب يتهشم.. ثم سمعتها تلتقط السماعة لاهثة وهي تردد:

- أحضرته.. أحضرته...

- إذن.. اسكبي العسل حول حدود دائرة، وقفي داخلها أنت ومن معك حاملين البصل في أيديكم.. اسرعي!.. ورددي أية آيات قرآنية تحفظينها.. هيا!.. هيا!..

سمعت صوت ضوضاء..، وصوت رجل يتكلم..، وخرفشة أوراق البصل.. فعدت أصرخ:

- ضعي السماعة على أذنك.. جرّي الهاتف إلى قلب الدائرة لأعرف ما

يحدث..، هه؟.. نعم مدة أخرى أيها الأحمق!!..

كان هناك صوت خشب يتهشم.. العرق يتكاثف على جبيني، و(رفعت) يرمقني كطفل صغير ضل الطريق إلى داره، صوت صراخ.. صوت كزئير الأسود.. صوت طلقات نارية...

ثم ساد الصمت...

بعد لحظات سمعت صوتًا رجوليًا يمسك بالسماعة ويقول لاهثًا:

- انتهى الأمر.. لقد مضى..

- حمدًا لله...

- ولكن من أنت..؟.. وما معني كل هذا؟...

- إنها قصة طويلة وسيحكيها لكم (رفعت) بالتفصيل...

وتناول (رفعت) السماعة.. وشرع يتساءل في لهفة:

- هل أنتم بخير جميعًا؟. كيف حال (هويدا)؟.. لقد كانت أمسية طويلة يا (عادل).. طويلة حقًا....

وحكى له كل شيء.....

* * *

الخاتمة

يحكيها د. (رفعت إسماعيل)

كانت تلك هي الطريقة الوحيدة التي تفتق عنها ذهن د. (رمزي)..

ها نحن أولاء واقفون عند فوهة الفرن الكبير في مصنع الحديد والصلب الذي قامت السلطات بإخلائه تمهيدًا لما نزمع القيام به، وكان د. (رمزي) يحمل الوعاءين الكانوبيين الخاصين بالفرعون الذي أسميناه (أخيروم الأول)، وكان ينتظر إشارة المهندس...

- الآن..

قالها المهندس في صرامة...

عندئذ ألقى د. (رمزي) ما في يده داخل فوهة الفرن.. إلى الحمم المنصهرة المشتعلة التي تتجاوز حرارتها ١٠٠٠ درجة مئوية..

وتنحى جانبًا ونحن معه..

هل كان هذا صوت صراخ طويل شنيع قادم من الجحيم؟..

هل كانت هذه الألسنة الملتوية تتخذ هيئة شبح يتعذب؟..

هل كان هذا الضوء الأحمر هو ضوء النهاية؟..

لا أدري...

لكننا ظللنا نرمق الحمم التي ذاب فيها كل أثر لهذا الكيان الشرير..

الكيان الذي ظل يغفو في أوعيته داخل أحشاء (أخيروم) منتظرًا كل من يدنس القبر وتعلق به البللورات كي يخرج ويطارده.. ويقتله شر قتلة بعد أن يترك وصمة الرعب أبدية على سحنته..

إن الذي يكمن الشر في أحشائه سينشر الرعب في قلوب المتطفلين.. وقد كان...

لكننا قد قضينا على أحشائه.. فهل مات الشر معها؟..

إن د. (رمزي) لم يترك شيئًا للصدفة..

لهذا - في نفس اليوم - أعيدت المومياء إلى قبرها وتم إغلاقه بإحكام مع اتخاذ الضمانات الكاملة كي يظل عمال الحفر وكل من شارك في هذه القصة صامتين...

وحين ودعت د. (رمزي) شعرت أنني أودع صديقًا..
صحيح أنني لم أفده كثيرًا.. كالعادة في كل مرة يحاول أحدهم أن يستعين بخبراتي فيها...
لكنني - على الأقل - لم أترك في ذهنه صورة المدعي أو الجبان...

* * *

في المستشفى كانت (هويدا) لم تزل تحت العلاج المكثف من أستاذ الأمراض النفسية (عصام شلبي)..
وكانت تتحسن...
أما أمها فقد شفيت من الصدمة سريعًا..

تجرأت مرة وسألت (عادل) - صديقي القديم - عن الشيء الذي رأوه في تلك الليلة، فقال في مرارة:

- لا تحدثني عن ذلك ثانية.. دعنا ننسه...

- هل كان مريعًا إلى هذا الحد..؟

- لن تتخيله ما حييت...

وهنا جاء الطبيب وقال وهو يصطحبني إلى غرفتها:

- يمكنك الآن أن تحدثها ولكن برفق.. إن ما رأته لن يمحى من ذهنها، لكنها تسدل فوقه ستارًا مزيفًا..

- كانت شجاعة.. وأحضرت ما طلبه د. (رمزي) منها..

- كان العبء ثقيلًا على محركات روحها.. لهذا احترقت**!**

وفي الغرفة كانت راقدة بين باقات الزهور التي أرسلها لها كل يوم، وكانت تصغي لموسيقا هادئة في المذياع وتقرأ قصة أطفال لأن أعصابها لم تعد تتحمل أي شيء جدي أو صارم...

جلست جوار الفراش حائرًا لا أدري ما اقول...

- شكرًا على الزهور...

قالتها في رقة..، وابتسمت...

مددت يدي لأشعل لفافة تبغ.. لكنها انتزعتها في مشاكسة

- لولا التدخين ما حدث لي كل هذا...!

- ولولا محاولتك منعي عنه ما حدث لك كل هذا...!

- لا أريد زوجًا يدخن...

قلت في مرارة وأنا أنظر للسقف:
- (هويدا).. هل أنت واثقة أنك راغبة في الزواج مني؟.. لقد رأيت جزءًا صغيرًا جدًا من حياتي.. هذه هي وتيرة حياتي منذ عام ١٩٥٩ حتى اليوم.. فهل تتحملين؟!.

انحنى عنقها حتى لا أرى وجهها وصمتت برهة..

ثم حين رفعت وجهها فهمت الحقيقة...

كانت تبكي..!

تبكي بتلك الطريقة المفاجئة الغادرة التي تفاجئنا بها النساء حين لا نتوقع أن هناك ما يدعو للدموع في كلامنا..

وفطنت لحقيقة أخرى..

أنني أحب.. للمرة الأولى أحب هذه الطفلة البريئة البائسة التي أحبت كثيرًا،

ومنحت كل عذوبة روحها لي.. لكني لم أفهم.. لأن المذءوبين ومصاصي الدماء قد احتلوا كل دهاليز روحي فلم يعد ثمة مكان لـ (هويدا)..

- (هويدا).. هل تقبلين؟!

هل الصمت علامة الرضا أم علامة الرفض؟..

لا أذكر بالضبط.. لكني سأظل معها... مهما حدث...

* * *

كان ميعاد زفافنا في (مايو) من نفس العام...

لكن شيئًا ما حدث.. شيئًا لم أتوقعه، ولم أدرك قط أية لحظات قاتلة سيحملها لي...

لكن هذه قصة أخرى...

د. رفعت إسماعيل
القاهرة - ١٩٩٢

[تمت بحمد الله]

رقم
الإيداع:
١٦٠٦

المطبعة
العربية
الحديثة
٨ و١٠ شارع ٤٧
المنطقة الصناعية
بالعباسية
القاهرة ت:
٢٨٢٣٧٩٢ -
٢٨٣٥٥٥٤

الفهرس

روايات
مصرية للجيب

ما وراء الطبيعة

روايـــات تـحـبس الأنفـــاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

أسطورة لعنة الفرعون

لقد أنذرتك !.. لا تفتح التابوت !.. إنه خلفك .. فى كل مكان يراقبك .. إنه يعرف اسمك وعنوانك بل -والأخطر- يعرف مواعيد نومك! لقد أنذرتك!.. لا تفتح التابوت! .. والآن لا جدوى من صراخك .. لا جدوى أبدًا !!


المؤلف



د. أحمد خالد توفيق

العدد القادم : حلقة الرعب (عدد ممتاز)

الثمن في مصر
وما يعادله بالدولار الامريكي
في سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت: ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس: ٢٨٢٧٠٠٢

Notes

[←1]

الميتافيزيقًا: ما وراء الطبيعة.

[←2]

هذا المشهد. مكتوب بالتفصيل في أسطورة (أكل البشر) ولكن من وجهة نظر (رفعت).

[←3]

حدث هذا بالفعل في أثناء قيامهم بإسداء العون العلمي لنا في تصميم صواريخ (القاهر) و(الظافر).